جامعة محمد الصديق بن يحي- جيجل
كلية الآداب واللغات الأجنبية

قسم : اللغة والأدب العربي

مذكرة بعنوان:

المصطلحات الطبيعية في القرآن الكريم

- دراسة وصفية لنماذج -

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في اللغة والأدب ا لعربي

تخصص: مصطلحية

إعداد الطالبين:
- بوخميس بلبريشل
- عدلان الفيليف

تحت إشراف الأستاذ:
د.عبد الله عيسى لحيلح

لجنة المناقشة:

1. أ- محمد بولحية.....رئيسا
2. أ. د - عبد الله عيسى لحيلح.....مشرفا
3. أ.د – خالد بن عميور .....ممتحنا

السنة الدراسية: 2017/2016

(وقل اعملوا فسيرى الله عملكم و رسوله و المؤمنون وستردون إلى عالم الغيب و الشهادة فينبأكم بما كنتم تعملون)

شكر وعرفان

الحمد لله الذي تواضع لعظمته كل شيء، والحمد لله الذي يستلزم لقدرته كل شيء والحمد لله الذي ذل لعزته كل شيء والحمد لله الذي خضع لملكه كل شيء

نحمد الله العلي القدير على توفيقه لنا لإتمام هذا العمل نحمدك يا رب حمدا يليق بمقامك وجلالك العظيم

وبعد :

نتقدم بالشكر الجزيل إلى الأستاذ الفاضل" الدكتور عبد الله عيسى لحيلح " الذي كان لنا نعم المعين وأحسن الموجه في عملنا له منا جزيل الشكر والاحترام و يملي علينا واجب الاعتراف بالفضل أن نشكر جميع أساتذة قسم اللغة و الأدب العربي, والى كل من كانت له يد في انجاز هذا العمل

مقدمة

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين لا يسأم من كثرة السؤال والطلب، يعطي الدنيا لمن يحب ومن لا يحب ولا يعطي الدين إلا لمن أحب ورغب أما بعد: يقول تعالى :{أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا}.{النساء:82}.

فلا شك أن التدبّر في آيات القرآن الكريم، ودراسة مواطن الإعجاز البلاغي فيه وبيان فصاحته، لمن أجلّ الأعمال خصوصا ما نشهد من تكتل ضد القرآن الكريم والطعن في مصداقية كونه كتاب سماوي ،فوجب على كل باحث مسلم مهما كان تخصصه ومستواه أن يبحث في آيات القرآن ليبين عظمته ومكمن ربانيته، وتزامنا مع الحركة العلمية والتطور الذي شهده العالم في شتى مجالاته المعرفية ،ظهرت علوم ومناهج جديدة أسهمت بشكل كبير في خدمة النص القرآني من خلال ربط تلك العلوم بالقرآن الكريم،ومن بين هذه العلوم ما يسمى"**علم المصطلح**"والذي اتخذناه لبنة بنائنا في هذا البحث من خلال تطبيق منهج هذا العلم على جانب من ألفاظ القرآن الكريم ،ونقصد تلك المتعلقة بالطبيعة وما تحويه من نبات وحيوان وأرض وسماء وبحار وأنهار،فكان موضوع بحثنا **–المصطلحات الطبيعية في القرآن الكريم –** ، حيث اعتمدنا على وسائل هذا العلم لبيان تضمن آيات القرآن الكريم لألفاظ طبيعية سواء تعلقت بالحيوان أو النبات ثم أصبحت في القرآن الكريم مصطلحات حاملة لدلالات إيمانية تصورية كون القرآن الكريم خص بها الإنسان ونسبها إليه ووصفه بها ،ودلك من خلال نموذج تطبيقي لمجموعة من الألفاظ الطبيعية والتي صارت مصطلحات قرآنية .

وتكمن أهمية هذا الموضوع في تحديد مفاهيم المصطلحات في القرآن الكريم، تبيان العلاقة الوطيدة بين الإنسان والطبيعة، وكذلك دفع الشبهة عن القرآن الكريم و و الرد على المشككين في إعجازه ودحض أفكار القائلين بأنه كلام البشر، ويهدف للوصول إلى المفاهيم التي قد يغفل عنها الكثير من القارئين لكتاب الله ويهدف

أيضا إلى تطبيق الدراسة المصطلحية على المدونة القرآنية ،كما يهدف أيضا إلى إبراز طريقة القرآن الكريم في الخطاب والتعبير سواء كان ترغيبا أم ترهيبا.

ويرجع سبب اختيارنا لهذا الموضوع إلى تناسبه وتخصصنا المصطلحية من جهة، وشغفنا بكتاب الله ما أوجب علينا الغوص في أعماق بلاغته موقنين بأنه أفضل الكتب وأحسن الحديث على الإطلاق من جهة أخرى ويمكن أن نلخص إشكالية هذا البحث في مجموعة من التساؤلات والمتمثلة فيما يلي:

- ✓ هل مفهوم مصطلحات الطبيعة في اللغة يختلف عن مفهومها في القرآن الكريم؟.
- ✓ ما هي المناسبات التي ارتكز عليها القرآن الكريم في نقل تلك المفاهيم؟
- ✓ ما الحكمة من نقل مفاهيم المصطلحات الطبيعية من الطبيعة إلى الإنسان؟

وللإجابة على هذه التساؤلات جعلنا بحثنا هذا في فصلين: الأول نظري والثاني تطبيقي مع مقدمة وخاتمة طبعا، فالفصل الأول جعلناه على شكل مدخل خاص لضبط مفاهيم العنوان ومفاهيم متعلقة به من خلال تحديد هذه الأخيرة وتعريفها فشمل هذا المدخل:

- ❖ **ماهية المصطلح**: أدرجنا في هذا العنصر تعريف المصطلح بين اللغة والاصطلاح.
- ❖ **ماهية اللغة**: وقد عرفنا اللغة في إشارة إلى أن المصطلحات إنما هي جزء منها.
- ❖ **ماهية الطبيعة** : تطرقنا إلى مفهومها في اللغة والاصطلاح ثم بيان علاقتها باللغة.
- ❖ **تعريف القرآن الكريم**: وقد اعتمدنا على القرآن الكريم في التعريف، أي تعريف القرآن الكريم من خلال آياته التي شملت أسماءه وصفاته.
- ❖ **علاقة القرآن الكريم بالطبيعة**: من خلال بيان علاقة اللغة العربية بالطبيعة ثم استخلاص علاقة القرآن الكريم بها كون هذا الأخير نزل قرآنا عربيا.

❖ **مفهوم المصطلح الطبيعي في القرآن الكريم**: وهو تعريف موجز يمكن من خلاله استخلاص مضمون الدراسة.

أما الفصل الثاني فكان تطبيقيا، إذ تم فيه رصد مجموعة من الألفاظ الطبيعية في القرآن الكريم اعتمدنا فيه إيراد اللفظ ثم بيان معناه في اللغة {المعاجم}،ثم معناه في القرآن الكريم من خلال ذكر الآية التي ورد فيها المصطلح وتفسيرها ،ونخلص بعدها إلى العلاقة والمناسبة التي سمحت بانتقال اللفظ الطبيعي إلى مصطلح قرآني ،ثم خاتمة أوجزنا فيها ما اقتضاه المقام.

وقد اعتمدنا على مجموعة من المصادر والمراجع كان جلّها متعلقا بالتفاسير والمعاجم ،فأخذنا من **لسان العرب لابن منظور، معجم مقياس اللغة لابن فارس** و**كتاب العين للخليل ابن أحمد الفراهيدي** ومن المعاجم الحديثة **كالمعجم الوسيط والمعجم الوجيز** الصادرين عن **مجمع اللغة العربية** ، ومن التفاسير **التحرير والتنوير** لـ **الطاهر بن عاشور وتفسير القرآن العظيم لابن كثير** وتعد المصادر السالفة الذكر أهم المؤلفات المتوافقة وموضوع بحثنا .

وكان منهج هذا البحث منهجا استقرائيا وصفيا،كونه ينقسم إلى شقين : نظري وتطبيقي فاعتمدنا المنهج الوصفي في التحليل والتعليل واعتمدنا الاستقراء لملاءمته مع طرفي العمل في الجانب التطبيقي وما استخلصناه من التفاسير في دراسة العلاقة بين اللفظ الطبيعي والمصطلح القرآني.

ولا يعد البحث هذا الأول أو الوحيد الذي خص علاقة علم المصطلح بالقرآن الكريم، لكنها حلقة في سلسلة طويلة لها بداية و ليس لها انتهاء إلى يوم يرث الله الأرض ومن عليها ,فقد تطرق إليه مختلف الباحثين نذكر:

- دراسة **فريدة زمرد** المعنونة **مفهوم التأويل في القرآن الكريم –دراسة مصطلحية –** قدمت من خلالها تعريفا للدراسة المصطلحية ودراسة لمصطلح التأويل.

- دراسة **عبد الحميد درقاوي** المعنونة **الدراسة المصطلحية لألفاظ القرآن الكريم** .
- دراسة **محمد البوزي** المعنونة **الدراسة المصطلحية وموقعها من مناهج التجديد في تفسير القرآن الكريم**.

وقد نجيز لأنفسنا أن نقترح بعض العناوين قد تصلح للدراسة من طرف باحثين وطلاب آخرين انطلاقا من دراستنا منها:

- دراسة مصطلحية لجميع مصطلحات الطبيعة في القرآن الكريم .
- دراسة مقارنة بين المدونة القرآنية وكلام العرب.

ولا يكاد يخلو بحث إلا وقد وقفت أمام صاحبه مجموعة من العراقيل ،ولعل أهم ما واجهنا من صعوبات ،صعوبة تحديد المصطلحات الطبيعية نظرا لدقته في المدونة القرآنية.

في ختام هذه المقدمة نتقدم بالشكر والتقدير للأستاذ الدكتور **عبد الله عيسى لحيلح**، الذي لم يبخل علينا بتوجيهاته و نصائحه ولم يدخر جهدا ولم يقصر في واجبه تجاه مذكرتنا،ونحمد الله الذي وفقنا لهذا العمل ونسأله أن يجعله في ميزان حسناتنا يوم يقوم الناس لرب العالمين ،يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم، وصلّ الله وسلم وبارك على محمد و على آل محمد، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الفصل الأول

مدخل مفاهيمي لمصطلحات العنوان

1 –مفهوم المصطلح:

كلمة "المصطلح" أو "الاصطلاح" تعني انتقال اللفظ من مدلول أول إلى مدلول ثان لمناسبة مجازية بينهما وقد خصها بالدرس مختلف الباحثين والدارسين في شتى مجالات اللغة، فمنهم من استخدم كلمة "المصطلح" ومنهم من استخدم كلمة "الاصطلاح"، لكن رغم ذلك الاستخدام إلا أننا نسجل الاتفاق بين هؤلاء وأولئك على أنه تلك النقلة النوعية التي يسجلها المعنى في المبنى الواحد.

أ– المصطلح لغة: جاء في **لسان العرب لابن منظور** أن «الصلاح: ضد الفساد (...) والاستصلاح نقيض الاستفساد» [1] فنرى أن ابن منظور قد ربط معنى (صلح) بضدها (فسُد)، وتعدّ هذه الجزئية ركيزة المصطلح الذي يوضع بدقة في قالب معين للدلالة على معنى معين في تخصص محدد، لأجل تيسير استخدامه ووضوح بين جميع المستخدمين له، مما يؤدّي إلى رفع الفساد والاختلاف الناتج عن اللبس في معنى المصطلح بسبب فساد معناه ومبناه».

ونفس الشيء عند **الفيروز أبادي** في **القاموس المحيط**، فقد أورد «الصلاح ضدّ الفساد...، وأصلحه ضدّ أفسده...، وصالحه مصالحة وصلاحا، واصطلاحا واصّالحا وتصالحا واصّلحا...، واستصلح نقيض استفسد» [2].

ونسجل من خلال (ص،ل،ح) نقطة هامة في عملية وضع المصطلح وهي ضرورة أن يكون المصطلح سليما، بعيدا عن اللبس والغموض من أجل تيسير عملية استخدامه.

أما بالنظر لمادة (صلح) في "**المعجم الوسيط** الصادر عن مجمع اللغة العربية"، واعتمادا على حداثة المؤلف يمكن توضيح المعنى أكثر، فزيادة على كون الصلاح ضدّ الفساد نجد معاني أخرى يمكن إجمالها فيما يلي:

---

[1] ابن منظور: لسان العرب، المجلد الثامن، دار صادر، بيروت–لبنان، ط4، مادة (ص.ل.ح).

[2] الفيروز أبادي مجد الدين محمد بن يعقوب: القاموس المحيط، دار الفكر، بيروت–لبنان، 1983، ج1، باب الحاء–فصل الصاد، ص 235.

- **أولها**: عبارة: «(أصلح) في عمله أو أمره= أتى بما هو صالح نافع والشيء=أزال فساده» [1]، حيث تنطبق هذه الحالة على الاجتهاد الفردي في وضع المصطلح؛ إذ يأتي واضع المصطلح بما هو صالح ونافع للغة وأهلها.
- **ثانيها**: عبارة: «...وبينهما= أزال ما بينهما من عداوة وشقاق"[2] وتنطبق هذه الحالة على المصطلح الأجنبي في اللغة العربية، إذ يعمل على نقل المصطلحات وتهذيبها وفق خصوصيات كل لغة، ونظامها في وضع المصطلحات، مما يؤدي إلى تقليص الفجوة أثناء التّواصل بين اللغة الناقلة واللغة المنقول عنها.
- **ثالثها**: عبارة:«(الاصطلاح) —مصدر اصطلح–و– اتفاق طائفة على شيء مخصوص، ولكل علم اصطلاحاته»، [3] ومن خلال معنى الاصطلاح نفهم أن وضع المصطلح يتم على مستوى جماعي وضعا حينا واتفاقا حين آخر "اتفاق طائفة على شيء مخصوص" وعبارة: "لكل علم اصطلاحاته" تعكس لنا دقة وتخصص المصطلحات في المجالات التي وضعت لها.

ب– المصطلح اصطلاحا: للمصطلح تعاريف عديدة ومختلفة، ويعود السبب في ذلك بتعدد الواضعين لها، وتعدد اختصاصاتهم، ومناهجهم ولغاتهم. فكل يعرف حسب تخصصه وحاجته، غير أن بعض السمات الجوهرية للمصطلح هي القاسم المشترك بين كل التعاريف.

فقد عرّف **الشريف الجرجاني** في كتابه **التعريفات**، المصطلح على أنه: "عبارة عن اتفاق قوم على تسمية شيء باسم ما ينقل عن موضعه الأول"[4]. ونستنبط من هذا التعريف شرطين أساسيين من شروط وضع المصطلح: فالأول هو الاتفاق: أي أن استخدام المصطلح مرتبط بمدى تواضع أصحاب الجماعة اللغوية الواحدة على استخدامه أما الشرط الثاني فهو انتقال المعنى عن موضعه القديم.

---

[1] مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، مصر، ط4، 2004، مادة (ص.ل.ح).

[2] المرجع نفسه، المادة نفسها.

[3] المرجع نفسه، المادة نفسها.

[4] الشريف علي بن محمد الجرجاني: التعريفات، ضبطه وفهرسة: محمد عبد الحكيم القاضي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1991م، ط1، ص44.

ويعرف **مصطفى الشهابي** الاصطلاح على أنه: «الاصطلاح يجعل للألفاظ مدلولات جديدة غير مدلولاتها اللغوية أو الأصلية» [1] فيشير **الشهابي** أيضا إلى ضرورة الانتقال من المدلول القديم إلى مدلول جديد.

ومن بين التعريفات التي تتفق مع تعريف **الجرجاني** على ضرورة الاتفاق والتواضع في وضع المصطلحات: تعريف **عمار ساسي** للمصطلح في كتابه **المصطلح في اللسان العربي**، من آلية الفهم إلى أداة الصناعة كون "المصطلح هو مفردة صيغت وفق خصائص اللغة للدلالة على ماهية شيء محدد وحصلت على اتفاق المتخصصين"[2].

ويعرفه **عبد القادر الفاسي الفهري** في كتابه: **اللسانيات واللغة العربية** بقوله: «المصطلح لغة خاصة (...) أو معجم قطاعي يسهم في تشييد بناء ورواجه أهل الاختصاص في قطاع معدفي معين» [3].

إضافة إلى ما ذكر في تعريفه سابقا، فإنه يعرّف بأنه: "رمز لغوي محدد لمفهوم معين، أي معناه هو المفهوم الذي يدلّ عليه هذا المصطلح، وتعتمد درجة وضوح معناه على دقة موضوع المفهوم ضمن نظام المفاهيم ذات العلاقة"[4]، إذ يفهم من هذا التعريف أن المصطلح كرمز لغوي يكون محدد المفهوم أو معنى معين بدقة كبيرة داخل نظام متداخل ومتعالق مع مصطلحات بمفاهيم أخرى ضمن الحقل أو التخصص المعرفي الواحد، إذ أن دقة معنى المصطلح تتحدد من خلال علاقته بالحقل العلمي أو اللغوي الذي وجد فيه، ومن خلال علاقته ببقية المصطلحات تشكل معه كنظام مركب لهذا العلم.

---

(1) الأمير مصطفى الشهابي: المصطلحات العلمية في اللغة العربية في القديم والحديث، مطبوعات المجمع العلمي العربي، دمشق، 1965م، ص 6.

(2) عمار ساسي: المصطلح في اللسان العربي، من آلية الفهم إلى أداة الصناعة، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2009، ص 94.

(3) عبد القادر الفاسي الفهري: اللسانيات واللغة العربية، نماذج تركيبية ودلالية دار توبقال، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1985، ص 396

(4) علي توفيق الحمد: المصطلح العربي شروطه وتوحيده، مجلة جامعة الخليل للبحوث، المجلد الثاني، العدد الأول، الأردن، دط، 2005، ص 03.

2- مفهوم اللغة:

اللغة هي نسق من الرموز والإشارات تشكل أداة من أدوات المعرفة، وتعتبر أهم وسيلة للتواصل والتفاهم والاحتكاك بين أفراد المجتمع، وفي ميادين شتى، ويرتبط استخدام اللغة بمدى قدرة الإنسان على اكتساب واستخدام نظامها المعقد للتواصل.

أ- اللغة: لغة:

يعرف **ابن منظور** اللغة **في لسان العرب** تعريفا لغويا في قوله: «اللغة مشتقة من لغا، يلغو: إذا تكلم: فمعناها الكلام» [1].

ب- اللغة: اصطلاحا:

إن تعريفات اللغة في الاصطلاح متنوعة ومتعددة فنجد **ابن جني** يعرفها في **الخصائص** بأنها: «أصوات يعبّر بها كل قوم عن أغراضهم» [2].

ويعتمد هذا التعريف تعريفا دقيقا، حيث ذكر بعض من الجوانب المميزة للغة، فأكد على طبيعتها الصوتية من جهة، وذكر وظيفتها الاجتماعية في التعبير ونقل الفكر من جهة أخرى.

ولا يبتعد تعريف **ابن جني** عن تعريف **الشريف الجرجاني** للغة، حيث جاءت في التعريفات اللغة، "هي ما يعبّر به كل قوم عن أغراضهم"[3]، فنلاحظ أن الجرجاني أيضا ركز في تعريفة للغة على الجانب الوظيفي لها.

---

(1) جمال الدين أبو الفضل محمد ابن مكرم ابن منظور الأنصاري: لسان العرب، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط1، 2005، مادة صلح.

(2) أبو الفتح عثمان بن جني: الخصائص: تح: محمد علي النجار، دار الكتب المصرية، مصر.

(3) الشريف علي بن محمد الجرجاني: التعريفات، ص 202.

3- مفهوم الطبيعة:

أ- الطبيعة: لغة:

لقد ورد المفهوم اللغوي للطبيعة في عدة معاجم عربية، إذ أورد معجم **لسان العرب** أن الطبيعة هي: «الخليقة والسجية التي جبل عليها الإنسان، والطباع: كالطبيعة، مؤنثة...ويجمع طبع الإنسان طباعا، وهو ما طبع عليه من طباع الإنسان في مأكله ومشربه، وسهولة أخلاقه... وطبعه الله على الأمر بطبعه طبعا: فطره، وطبع الله الخلق على الطبائع التي خلقها فأنشأهم عليها وهي خلائقهم...والطبع الختم وهو التأثير في الطبع ونحو...وطبع الله على قلبه: ختم على المثل، ويقال طبع الله على قلوب الكافرين...أي ختم فلا يعي...ولا يوفق لخير»[1].

وقد جاء في **القاموس المحيط**: أن «الطبيعة من الطبع، والطبيعة والطباع ككتاب: السجية جبل عليها الإنسان، والطّباع ككتاب: ما ركب فيها من المطعم والمشرب وغير ذلك من الأخلاق...وطبع عليه، كمتع: ختم، والختم هو التّأثير في الطين ونحوه...وطبع على الشيء بالضم: جبل، وفلان يطبع إذا لم يكن له نفاذ في مكارم الأمور...والتطبيع: التجنيس، وتطبع بطباعه: تخلق بأخلاقه»[2].

وعرف مصطلح الطبيعة تعريفا مشابها لهذين التعريفين، وجاء كما يلي: «والطبيعة: السجية التي جبل عليها الإنسان، وهو في الأصل مصدر، والطبيعة مثله، وكذلك الطباع والطبع: الختم، وهو التّأثير في الطين ونحوه والطباع؛ الخاتم؛ وطبعت على الكتاب: أي ختمت، وطبّعت الدرهم أو السيف، أي علمت، والطِّبع بالكسر: النهر، والجمع أطباع»[3].

---

(1) ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، ط1، ج1، 2006، مادة(ط.ب.ع).

(2) الفيروز أبادي: القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة، ط8، 2008، مادة (ط.ب.ع).

(3) اسماعيل بن حماد الجوهري: الصحاح، دار العلم، بيروت، لبنان، ج3، ط4، 1990، ص 1252، 1253.

وقد عرّفت الطبيعة في **المنجد** كالآتي: «الطبيعة: علم الطبيعة، فيزياء درس الطبيعة، العالم الحسي مخلوقات الكون من نبات وسماء وجبال وأودية...متساهل من طبيعته، مرح طبعه، مزاج الإنسان المركب الأخلاط طبيعة النار أو الدواء ونحوها، بما سخر الله سبحانه وتعالى من مزاجه...ما وراء الطبيعة، عالم الغيب، طبائع الأشياء وصفاتها وخصائصها...وطبيعي: خاص بالمادة الطبيعية، والظواهر الطبيعية، موجودة في الطبيعة والطبيعات، علم الطبيعة وطبيعة: مدرسة أدبية وفنية تدعو إلى تقليد الطبيعة» [1].

ب- الطبيعة في الاصطلاح:

إن الطبيعة هي الوجود المادي الذي يحيط بنا وكل شيء محسس نلمسه أو نحس به، أو يؤثر على كياننا كله، أو على وجودنا بطريقة ما، كالشمس والقمر والنجوم والجبال والأشجار والبرق والرعد، والطبيعة بمفهومها الشامل تنقسم إلى عناصر وظواهر، فالعناصر تشمل الكون المحسوس من شمس وقمر وجبال والظواهر ما يرتبط بتلك العناصر ارتباطا سببيا كالليل والنهار، فإنهما متسببان في حركة الشمس ودوران الأرض حولهما، والرعد والبرق متسببان عن اصطكاك السحب وحركتهما في الجو[2].

ثم هناك تقسيم آخر للطبيعة بعناصرها وظواهرها يجعلها قسمين رئيسيين هما: الطبيعة الحية النامية والطبيعة الصامتة.

فالطبيعة الحية النامية ما اشتملت عليه من مختلف الحيوان والطير، والطبيعة الصامتة تشتمل على ظواهر وعناصر متعددة من أرض وسماء وبحار وأنهار وينابيع وجنات ورعد وبرق ونحوها.

ويندرج تحت مفهوم "الطبيعة الصامتة": الطبيعة الحقيقية كالبحار والأنهار والطبيعة الصناعية وهي ما كان من صنع الإنسان كالقرى والقصور والآبار والديار والأطلال.

---

[1] أنطوان نعمان وآخرون: المنجد في اللغة العربية المعاصرة، دار المشرق، بيروت-لبنان-ط2، 2001، ص 898-899.

[2] ينظر- كاصد ياسر الزيدي: الطبيعة في القرآن الكريم، دار الرشيد للنشر، دط، دت، ص08.

وقد تحدث القرآن الكريم عن الطبيعة الحيّة والصامتة، كما تحدث عن الطبيعة الحقيقية والصناعية أيضا، في عدة آيات.

ج- علاقة اللغة بالطبيعة.

لقد اختلفت الأقوال واختلف القائلون في أصل اللغة، وما يهمنا نحن ليس البحث في أصل اللغة، أهي توقيف أم هي اصطلاح أم هي توقيف واصطلاح، لكن يهمنا البحث في العلاقة بين اللغة والطبيعة بمختلف عناصرها وظواهرها.

فاللغة وإن لم يكن منشأها من الطبيعة إلّا أنها ترتبط ارتباطا وثيقا، فنلحظ وجود ألفاظ لغوية عديدة ناتجة عن محاكات الإنسان لأصوات الطبيعة مثل الهزيم والدوي والحفيف والصهيل وغيرها من أصوات النبات والحيوان.

يقول **علي القاسمي** في **علم المصطلح** «وقد ذهب بعضهم إلى أن اللغة نشأت من محاكاة الإنسان لأصوات الطبيعة...، ويرتب بعضهم على هذا الرأي مناسبة الأصوات للمعاني، أو بعبارة أخرى الدلالة الذاتية للألفاظ» [1].

4- تعريف القرآن الكريم:

هو كلام الله المنزل على نبيه محمد صلى الله عليه وآله وسلم والمعجز بلفظه، المتعبد بتلاوته، المنقول بالتواتر، المكتوب في المصاحف المبدوء بسورة الفاتحة والمختوم بسورة الناس.

[1] علي القاسمي: علم المصطلح –أسسه النظرية وتطبيقاته العلمية، مكتبة لبنان، بيروت–لبنان، ط1، 2008، ص 32-33.

ومن خلال هذا التعريف يتبين لنا أن القرآن الكريم كلام الله، ويستحيل على أي بشر أو ملك أو جن أن يأتوا بمثله ولو اجتمعوا له، قال تعالى:{قُل لَّئِنِ ٱجۡتَمَعَتِ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِمِثۡلِ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لَا يَأۡتُونَ بِمِثۡلِهِۦ وَلَوۡ كَانَ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٖ ظَهِيرٗا ﴿٨٨﴾} الإسراء، آية (88).

وقد اختص القرآن دون غيره من الكتب السماوية بعدة أسماء إن دلت على شيء فإنما تدل على رفعة شأنه وعلو مكانته. فقد بالقرآن، وهذا أشهر أسمائه وأكثرها ورودا في الآيات، قال تعالى:{إِنَّا جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ﴿٣﴾}الزخرف آية 3.

وسميّ أيضا بالفرقان وذلك في قوله تعالى:{تَبَارَكَ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡفُرۡقَانَ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦ لِيَكُونَ لِلۡعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾}الفرقان (1).

وسميّ أيضا بالكتاب في قوله تعالى:{ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبۡدِهِ ٱلۡكِتَٰبَ وَلَمۡ يَجۡعَل لَّهُۥ عِوَجَاۜ ﴿١﴾}الكهف آية (1).

كما سمي القرآن الكريم أيضا بالتنزيل، ودليل ذلك قول الحق جلّ في علاه{وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾}الشعراء (192).

وقد سمي القرآن أيضا بالذكر، نظرا لما فيه من المواعظ والتحذير وأخبار الأمم الماضية، وأخبار الأنبياء، وهذا في قوله تعالى:{إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾}الحجر: (09).

وهذه هي مجملا أسماء القرآن الكريم والتي جاءت في آياته البينات، وإلى جانب الأسماء التي نسبت للقرآن نجد أنه وصف بصفات كثيرة، حتى أن من العلماء من خلط بين أسماء القرآن وصفاته، ومن أشهر

الصفات التي اتصف بها القرآن الكريم أنه نور وذلك في قوله تعالى:{يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُم بُرۡهَٰنٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ نُورٗا مُّبِينٗا ١٧٤} النساء (174).

ووصف القرآن أيضا بأنه هدى، وهو الرشاد وضدّ الضلال وقد ذكر في مواضع كثيرة منها، قوله تعالى:{الٓمٓ ١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ٢} البقرة (1-2).

وقد وصف القرآن الكريم بهذه الصفة، أي صفة الهدى لأن فيه دلالة بنية الحق والتفريق بينه وبين الباطل.

إضافة إلى هاته الصفات، وصف القرآن الكريم أيضا رحمة إذ ورد ذلك في آيات عديدة منها قوله تعالى:{ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَتۡكُم مَّوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَشِفَآءٞ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ٥٧} يونس (57).

وقد وصف القرآن بصفة الرحمة، لأن الله سبحانه وتعالى يرحم به من يشاء من خلقه، فينقده به من الضلالة إلى الهدى وينجيه من الهلاك، وقد جعله تبارك وتعالى رحمة للمؤمنين به من دون الكافرين، به لأن من كفر فهو على عمى وفي الآخرة جزاؤه على الكفر به الخلود في نار جهنم.

ووصف القرآن الكريم أيضا بصفة الشفاء، إذ ورد ذلك في آيات عديدة ومنها قوله تعالى: {وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٞ وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارٗا ٨٢}الإسراء: (82).

وقد وصف القرآن بالشفاء لأن من آمن به وعمل بمحتواه، كان له شفاء من سقم الكفر، ومن سقم الجهل أيضا.

كما وصف القرآن الكريم أيضا بالموعظة، وهو التذكير بما يليّن القلوب من ثواب وعقاب، وقد جاء ذلك في قوله تعالى:{وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ وَمَثَلًا مِّنَ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٣٤﴾} النور (34).

وقد وصف القرآن بهذه الصفة، لأنه يعظ به الجاهلين بالله، وهو أيضا موعظة لمن اتّقى الله، فخاف عقابه وخشي عذابه واتعظ.

ووصف القرآن بالكريم في قوله تعالى:{إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾} الواقعة(77-78)

ووصف بالكريم ليحمد ما فيه من الهدى والبيان والعلم والحكمة، وهو وصف للقرآن بأنه رفيع على جميع الكتب السماوية حقا، لا يستطيع المكذب والكافر الطعن فيه.

ووصف القرآن الكريم بصفة "العلي" وورد ذلك في قوله تعالى: {وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ لَدَيْنَا لَعَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴿٤﴾} الزخرف: (4).

وقد وصف بصفة "العلي" وذلك لأنه ذو علوّ ورفعة، ووصف كذلك بـ "الحكيم" في قوله تعالى:{الٓر ۚ كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴿١﴾} هود: (1).

وقد وصف القرآن بهذه الصفة، لأن آياته أحكمت عن التحريف والاختلاف والتباين، وهو الكتاب الوحيد الذي أحكمه الله وبينه لعباده وبين حكمته بين الحق والباطل.

ووصف القرآن بالمهيمن، نظر لكونه الكتاب الأمين والشاهد والحاكم على كل كتاب قبله، وورد ذلك في قوله تعالى: {وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ ...} المائدة:(48)

ووصف القرآن بأنه: "مبارك" في عدة آيات منها قوله تعالى:{وَهَـٰذَا كِتَـٰبٌ أَنزَلْنَـٰهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا ۚ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۖ وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩٢﴾ } الأنعام: (92)، ووصف القرآن بهذه الصفة لأن كلّ آياته مبارك فيها، وأنها كلها إما مرشدة لما هو خير، وإما صارفة عن شرّ وفساد، فهو مبارك في جميع مقاصده وأهدافه، ووصف القرآن بأنه قيم، وذلك لأنه مستقيم لا اختلاف فيه ولا تفاوت في آياته وحروفه، يقول تعالى:{ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَـٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ﴿١﴾ قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴿٢﴾} الكهف: (1-2).

ووصف أيضا بأنه: "فصل" في قوله تعالى:{إِنَّهُۥ لَقَوْلٌ فَصْلٌ ﴿١٣﴾ } الطارق: (13)،وقد وصف بالفصل ذلك لأنه يفصل بين الحق والباطل، ووصف "بأحسن الحديث" في قوله تعالى:{ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَـٰبًا مُّتَشَـٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٢٣﴾}الزمر: (23).

وفي هذه الآية وصف القرآن الكريم أيضا بأنه مشابها، وذلك لكون كل آياته نور وصدق وعدل، وفي نفس الآية الكريمة وصف الله تعالى بالمثاني لأنه تثنى فيه المواعظ والفرائض والحدود والثواب والعقاب، ووصف القرآن الكريم بالوحي في قوله تعالى:{إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ } النجم: (4)، ووصف بالوحي لأن فيه إلهاما وخفية بسرعة.

ووصف بأنه "عربي" في وقله تعالى:{إِنَّآ أَنزَلْنَـٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾ } يوسف:(2).

ووصف أيضا بأنه "بصائر" في قوله تعالى:{هَٰذَا بَصَٰٓئِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحۡمَةٞ لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ ٢٠}الجاثية: (20).

ووصف بأنه حق، بمعنى صدق وعدل، بقوله تعالى:{بَلۡ كَذَّبُواْ بِٱلۡحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمۡ فَهُمۡ فِيٓ أَمۡرٖ مَّرِيجٍ ٥} ق: (5).

وقد وصف القرآن بأنه حق، لأنه صدق من عند الله، لا كذب فيه ولا لبس ولا غموض ولا فيه مجال للتأويل، كما وصف أيضا بأنه صدق كما جاء في قوله تعالى:{وَمِن قَبۡلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامٗا وَرَحۡمَةٗۚ وَهَٰذَا كِتَٰبٞ مُّصَدِّقٞ لِّسَانًا عَرَبِيّٗا لِّيُنذِرَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُحۡسِنِينَ ١٢}الأحقاف:12.

وقد وصف القرآن بصفة الصدق لأنه نزل من الله مصدقا لما قبله من الكتب الأخرى وما جاء فيها قبل أن تبدل وتغير ومتمم لها.

ووصف بأنه عدل: في قوله تعالى:{وَتَمَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدۡقٗا وَعَدۡلٗاۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ١١٥} الأنعام: (115).

فوصف القرآن بالعدل، وذلك لأنه عادل في أحكامه وكل ما أمر به فهو عدل وكل ما نهى عنه فهو باطل.

ووصف أيضا "بالبشرى" وجاء ذلك في قوله تعالى:{قُلۡ مَن كَانَ عَدُوّٗا لِّجِبۡرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلۡبِكَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَهُدٗى وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ٩٧} البقرة: (97).

وقد وصف القرآن بهذه الصفة لأنه بشّر المؤمنين بما أعدّ لهم الله يوم القيامة من الكرامة في جنة النعيم.

ووصف أيضا "بالمجيد": وهو الرفيع والشريف، وذلك في قوله تعالى:{قٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡمَجِيدِ } ق: (1).

فقد وصف القرآن بصفة "المجيد" لأنه معجز لنفسه، لا يمكن لأحد أن يأتي بمثله أبدا، وأنه حفظ من التغيير والتبديل، والزيادة والنّقصان، لا يتغير بتغير الزمان والمكان.

ووصف القرآن أيضا بأنه "مبين" لأنه أبان وفرق بين الحق والباطل، وجاء ذلك في قوله تعالى:{الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ۝١} يوسف: (1).

كما وصف أيضا بالعزيز، وذلك في قوله تعالى:{إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلذِّكۡرِ لَمَّا جَآءَهُمۡۖ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٞ ۝٤١ } فصلت: (41).

وقد وصف بهذا الوصف لأن الله سبحانه وتعالى أعزّه وحفظه من كل من أراد تبديله، أو تحريفه أو تغيره.

ووصف بـ "البلاغ" وذلك في قوله تعالى:{إِنَّ فِي هَٰذَا لَبَلَٰغٗا لِّقَوۡمٍ عَٰبِدِينَ ۝١٠٦} الأنبياء:(106).

والقرآن بلاغ لأنّه يُبلّغَ لجميع الخلق من انس وجن.

وهذه أبرز الأوصاف التي اشتمل عليها القرآن الكريم واستشهد بها، كما بينتها آياته جلّ في علاه.

5- علاقة القرآن الكريم بالطبيعة.

مما لاشك فيه أن القرآن الكريم نزل باللسان العربي، وذلك لما جاء في قوله تعالى:{بِلِسَانٍ عَرَبِيّٖ مُّبِينٖ ۝١٩٥ }الشعراء (195)، واللغة العربية لغة أصلية عرفت منذ العهد الجاهلي بقوة تراكيبها وروعة أساليبها، وكانت كما قال **عبد العالم سالم مكرم** في **اللغة العربية في رحاب القرآن الكريم**، «وكانت هذه اللغة مرآة صافية للشعر

الجاهلي والشعر الجاهلي بشهادة الناقدين جزالة في اللفظ وفخامة في المعنى، وقد ورد في التصوير، وروعة في التعبير» [1].

وكما تحدّى الله تعالى سحرة فرعون بما ظنوه سحرا، فقد تحدى أهل اللغة العربية باللغة العربية، فجاء القرآن الكريم بجلال بيانه وروعة أساليبه وسمو معانيه، وقوته البلاغية العجيبة، فاستسلمت اللغة العربية لهذا الكتاب قال فيه تعالى:{قُل لَّئِنِ ٱجۡتَمَعَتِ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِمِثۡلِ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لَا يَأۡتُونَ بِمِثۡلِهِۦ وَلَوۡ كَانَ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٖ ظَهِيرٗا ﴿٨٨﴾} الإسراء: (88)، فصارت اللغة العربية وكأنها هي التي استخرجت من القرآن الكريم وليس القرآن الكريم هو الذي نزل بهذه اللغة، يقول **عبد العال سالم مكرم** «ووضعت اللغة العربية بعد نزول القرآن الكريم نفسها في حقله لتنبت بإذن ربها نباتا حسنا يؤتي أكله في كل زمان في كل عصر تحت ظلال القرآن الكريم، وفي ضوء شمسه المشرقة» [2].

وهنا إشارة إلى أن حسن استخدام اللغة العربية وقوة تراكيبها إنما هو مرتبط بفهم الأساليب القرآنية وحسب اختيار طريقة التعبير بها كونها صالحة لكل زمان ومكان.

واللغة العربية معروفة منذ القديم بارتباطها بالطبيعة ارتباطا وثيقا إذ أن كلام العرب منذ العصر الجاهلي – شعر أو نثرا– لا يكاد يخلوا من تصوير الطبيعة، أو التشاؤم منها أو استحسانها، فمثلا يصور **امرؤ القيس** تشاؤمه من الطبيعة والليل على وجه الخصوص بقوله:

وليل كموج البحر أرخى سدوله علي بأنواع الهموم ليبتلي[3]

---

[1] عبد العال سالم مكرم: اللغة العربية في رحاب القرآن الكريم، ط1، 1990م، ص 03.

[2] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[3] أبي عبد الله الحسين بن أحمد الزوزني: شرح المعلقات السبع، تح: طلال أحمد، دار الكتاب الحديث، دط، دت، ص 29.

فنسجل أن **أمرؤ القيس** كان كثير التشاؤم من الليل والحقيقة أنه يتشاءم من الليل والنهار لأنه يعقب بقوله:

ألا أيها الليل الطويل ألا انجلي بصبح وما الإصباح منك بأمثل[1].

إذا فتصوير الهموم والمتاعب لا يخلو من ربط هذا التصوير بالطبيعة، حيث يقول موضع آخر في وصف الواد:

وواد كجوف العير قفر قطعته به الذئب يعوي كالخليع المعيل[2].

ويصور لنا **عنترة بن شداد** جانبا من الحماس في الحرب لكنه يصف الحيوان في التصوير مثل قوله:

فتركته جزر السباع ينشنه يتضمن حسن بنانه والمعصم[3].

أو قوله: والخليل تقتحم الخبار عوابسا[4].

نلاحظ إذن أن الطبيعة لها دور بالغ الأهمية في الوصول إلى المعاني الراقية والتعبير عن خلجات النفس من فرح أو حزن، تشاؤم أو حماس وغيرها.

إلا أن العلاقة بين القرآن الكريم والطبيعة لم تأخذ هذا المنحى وإنما سخرها الله تعالى لخدمة الإنسان ولتوحيد ربوبيته في المقام الأول وكذا إثبات ذاته الإلهية على أن الله موجود وهو خالق كل شيء ويمكن أن مجموعة من القضايا تقودنا إلى معرفة تلك العلاقة بين القرآن والطبيعة كما جاءت في "الطبيعة في القرآن الكريم" لكاصد ياسر الزيدي".

---

[1] أبي عبد الله الحسين بن أحمد الزوزني: شرح المعلقات السبع، ص 29.

[2] المرجع نفسه، ص 31.

[3] المرجع نفسه، ، ص 139.

[4] المرجع نفسه، ص 143.

أ- تحبيب الطبيعة إلى الإنسان وتقريبه منها:

«إن القرآن لم يجعل الوشيجة التي تربط الإنسان بالطبيعة وشيجة الخائف بما يخاف منه، أو الضعيف بالقوي، بل جعل ما بين الطبيعة والإنسان انسجاما وألفة ومودة ورحمة، بل راح يقر بها إليه بالأوصاف التي تحببها إلى نفسه» [1].

إذن فالقرآن الكريم يبين للإنسان أن الطبيعة ببحرها وبرها وجبالها ومائها ومرعاها مسخرة لخدمته وجالبة لرزقه وحافظة لوجوده وكيانه، إذ جعلها القرآن الكريم ملاذه الوحيد الذي يمكنه من كسب رزقه بالطرق المشروعة التي أقرها القرآن الكريم، كما جاء في قوله تعالى:{رَّبُّكُمُ ٱلَّذِى يُزْجِى لَكُمُ ٱلْفُلْكَ فِى ٱلْبَحْرِ لِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٦٦﴾}الإسراء: (66).

ففي هذه الآية الكريمة يبين الله سبحانه وتعالى مدى رحمته بعباده وفضله عليهم، حيث يسر لهم السفن في البحر للوصول بها إلى أماكن تجارتهم.

ويتكرر تسخير البحر للعبادة في آية أخرى وذلك في قوله تعالى:{وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُواْ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُواْ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٤﴾}النحل: (14)، فالبحر لم يسخر من أجل السفر بالسفن فقط، وإنما فيه منافع أخرى للناس من مأكل وملبس.

كما حبب القرآن الكريم الليل للناس وجعله رمزا للسكينة والهدوء وذلك في قوله تعالى:{هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُواْ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٦٧﴾}يونس: 67.

[1] كاصد ياسر الزيدي: الطبيعة في القرآن الكريم، ص 138.

وهذا دليل على أن الله سبحانه وتعالى قد سخر الليل لعباده حببه إليهم كي يستريحوا من مشقات عمل النهار، كما جعله أقرب ما يكون إليهم من ضروريات الحياة، فوصفه الحق بأنه "لباس" فقال: {وَقَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُواْ ٱلرُّسُلَ أَغْرَقْنَٰهُمْ وَجَعَلْنَٰهُمْ لِلنَّاسِ ءَايَةً ۖ وَأَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣٧﴾ } الفرقان (37)، فالليل في مفهوم القرآن هو آية وبينة ودلالة وبرهان على وجود إله قادر متمكن، متفرد باستحقاق العبادة، كما أقسم سبحانه وتعالى بالليل في عدة آيات، وذلك إما مع النهار أو مع الفجر أو الصبح أو الضحى، وإما مع الشمس أو القمر، وهذا كل مع عناصر الطبيعة وظواهرها.

ومن ذلك قوله تعالى:{كَلَّا وَٱلْقَمَرِ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ ﴿٣٣﴾ وَٱلصُّبْحِ إِذَآ أَسْفَرَ ﴿٣٤﴾}المدثر: (32-34). وقوله تعالى:{وَٱلْفَجْرِ ﴿١﴾ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ﴿٢﴾ وَٱلشَّفْعِ وَٱلْوَتْرِ ﴿٣﴾ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ﴿٤﴾} الفجر: (1-4).وقوله تعالى:{وَٱلشَّمْسِ وَضُحَىٰهَا ﴿١﴾ وَٱلْقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا ﴿٢﴾ وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا ﴿٣﴾ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰهَا ﴿٤﴾ } الشمس: (1-4).وقوله تعالى:{وَٱلضُّحَىٰ ﴿١﴾ وَٱلَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ﴿٢﴾ } الضحى: (1-2).

وهذا دليل على أن الله سبحانه وتعالى ما أقسم بالليل والنهار والشمس والقمر، أي بعناصر من الطبيعة وذلك إلا لعظمتها، إذ أقسم بالليل كونه يوفر السكينة والهدوء للناس، وأقسم بالقمر لاهتداء العباد به في الظلمات، وأقسم بالشمس لما توفره من ضوء وحرارة تساعد الكائنات الحية على النمو، كما أقسم أيضا بالنهار، وذلك لما فيه من حركية الإنسان وسعيه وراء رزقه واستمرارية وجوده.

ب- اقتران الأرض بمعاني الخير والبركة:

لقد ذكر مصطلح الأرض في القرآن الكريم في العديد من الآيات، وذلك لقوة علاقتها بالإنسان، إذ تعتبر المستقر الوحيد له في وجود، ومتاعه ومنفعة وفراشه، وكل ما فيها من الخيرات، فهي نعمة له ورزق ما دام فيها

حي، فلا يمكن أن يكون له ملجأ آخر غير الأرض، وذلك لأنه بدأ منها وإليها يعود، وليس ذلك بمعزل عن طاعة الله وعبادته، بل هو داع من دواعيها، ودافع من دوافعها، وكيان من كيانها، ودليل ذلك في القرآن الكريم[1].

قال عز وجل:{إِنَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَأَيَٰتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۝٣ وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ۝٤ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ۝٥ } الجاثية: (3-5).

وهذا يدل على أن الله سبحانه وتعالى قد جعل الأرض مهادا وموطئا وقرار يستقر عليه الإنسان ما دام حيّا، وهذه رحمة منه لعباده ورأفة بهم، وتعطفا منه بذلك عليهم، وذلك بعد أن خلقهم أحياء قادرين لهم عقول وقلوب يفكرون بها فيما خلق الله، ثم جعل من الأرض مكانهم الذي لابدّ لهم منه كي يستقروا ويتمتعوا، وذلك كما جاء في قوله تعالى:{ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝٢٢}البقرة: (22) وهذا يدل على أن الله جعل حياة كل حي متاع يستمتع بها في حياته وجعل الأرض للإنسان متاعا إلى يوم يبعث الله الخلائق.

ج- تنزيه الإله عن كل تلابس مع الطبيعة:

لا يمكن أن يكون تلابس بين الله عز وجلّ والطبيعة، ومن يعتقد ذلك الاعتقاد فقد كفر لأن الله عز وجل منزه عن أن يحتاج لشيء يستقر أو يسكن فيه وكل ما في الطبيعة قد سخره الله سبحانه وتعالى لخدمة ومنفعة الإنسان وحده، ومن غير أن يكون الله سبحانه في حاجة لشيء منها، فالرياح والسحاب والجبال والسماء التي خلقها الله قد بين حقيقتها القرآن الكريم وأظهر عدم التلابس بين الله والطبيعة في صور معبرة تبعد مفهوم

[1] ينظر- كاصد ياسر الزيدي: الطبيعة في القرآن الكريم، ص 148.

التلابس بينهما ومن أمثلة ذلك نجد الجبال والسماء والأرض في مواضع كثيرة في القرآن[1]. قال تعالى:{وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَلَدٗا ﴿٨٨﴾ لَّقَدۡ جِئۡتُمۡ شَيۡـًٔا إِدّٗا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرۡنَ مِنۡهُ وَتَنشَقُّ ٱلۡأَرۡضُ وَتَخِرُّ ٱلۡجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوۡاْ لِلرَّحۡمَٰنِ وَلَدٗا ﴿٩١﴾ }مريم: (88-91).

وهذا يدل على أن كل مخلوق خاضع لأمر الله دون غيره، وأن كل ما في الطبيعة يخشى قوة الله ويهابها، حتى عناصر الطبيعة الضخمة كالسماء والأرض والجبال والتي أبت أن تحمل الأمانة الإلهية التي عرضت عليها، واشفقت منها استصغارا لنفسها وخوفا من تبعتها، ودليل ذلك في قوله تعالى:{إِنَّا عَرَضۡنَا ٱلۡأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱلۡجِبَالِ فَأَبَيۡنَ أَن يَحۡمِلۡنَهَا وَأَشۡفَقۡنَ مِنۡهَا وَحَمَلَهَا ٱلۡإِنسَٰنُۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومٗا جَهُولٗا ﴿٧٢﴾ }الأحزاب: 72.

د- تنزيه الإله عن التعب عند خلق الطبيعة:

لقد خلق الله سبحانه وتعالى كل شيء في هذا الكون وجعل له نظاما يسير وفقه دون أن يتغير، ولم يكن ذلك شيئا جسيما بالنسبة إلى الله أو بتعب، وذلك تصوير الله في القرآن الكريم، فالسموات وما فيها والأرض وما عليها ليست شيئا إزاء عظمة الخالق، الذي إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون، فلا يمكن شيء أن يقف أمام قدرته أو أن يتعبه كما زعم بعض المكذبين والمخالفين لأمر الله بأنه تعب في خلق الطبيعة وما عليها، فكان الرّد على ذلك الزعم في القرآن الذي صغّر الطبيعة مهما عظمت في الحسّ، وجعلها شيئا حقيرا أمام عظمة الله الذي

[1] ينظر- كاصد ياسر الزيدي: الطبيعة في القرآن الكريم، ص152.

لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء[1]. ولذلك قال سبحانه وتعالى في محكم تنزيله: {وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴿٣٨﴾ } ق: 38.

وقوله أيضا:{أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَـٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ ۚ بَلَىٰٓ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٣﴾ } الأحقاف: 33.

هـ- توخي العبرة من وصف الطبيعة:

ليس الحديث عن الطبيعة وظواهرها في القرآن الكريم بغرض الاستمتاع أو التلذذ، بل لتوخي العبرة وتقصد من الفائدة والموعظة، فالقرآن الكريم يعرض في قصصه كثيرا من التواريخ والتفاصيل والجزئيات التي عرفت في العهد القديم عند وصف ظواهر الطبيعة، أو الحديث عن عناصرها تحقيقا لأغراضه التي جاء من أجلها، وهي أخذ العبرة من التفكير والتدبر في كيفية خلق الكون وتعاقب الظواهر في مسار ومجرى واحد دون الانحراف، فالقرآن الكريم يعرض كثيرا من هذه القصص لأخذ العبرة منها، ومثال ذلك قصة الخليفة" التي بدأت بخلق السموات والأرض وما فيها من نعم وخيرات أعدها الله لبني الإنسان، وذلك في أعقاب إنكار المشركين ليوم البعث والنشور، وكان رده عليهم بقدرته في الإحياء والإعادة[2]. بقوله تعالى:{كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَـٰكُمْ ۖ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٨﴾ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَـٰوَٰتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٩﴾} البقرة 28-29.

ثم ينتقل حديث القرآن بعد ذلك إلى خلق آدم أبي البشر، وهذا حتى يذكرنا بعديد نعمه علينا، قال تعالى:{وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ

(1) ينظر- كاصد ياسر الزيدي، الطبيعة في القرآن الكريم،ص 163

(2) المرجع نفسه، ص 166.

ٱلدِّمَآءَ وَنَحۡنُ نُسَبِّحُ بِحَمۡدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٣٠}البقرة:30، وهذا برهان من الله في أخذ العبر والمواعظ من قصص القرآن، وأن الحديث عن الطبيعة وما فيها لم يرد به مجرد السرد فقط، بل يراد به التذكير والوعظ والتدبر والتفكر وإعمال العقل بأن هناك خالق واحد لهذا الكون[1].

و- اقتران الحجر بالنقمة والعذاب:

إذا تحدثنا عن معنى الحجر بين ما تداول قديما والقرآن الكريم قد نجد اختلافا كبيرا، فقد دلّ معناه قديما على الطمأنينة والالتجاء والقوة النافعة، بينما في القرآن الكريم قد أخذ مفهوما مغايرا تماما، إذا اقترن حديثه بالقسوة في الغالب، كما أنه من صور العذاب الدنيوية والأخروية، إلا أن ذلك لا يغطي على منفعته للناس ومما ورد فيه من الدلائل على الانتفاع به كونه من النعم الإلهية في ظروف خاصة، إنّ الله سبحانه وتعالى جعل لبني إسرائيل عيونا تجري من حجر، كان موسى يضربه بعصاه، فتنفجر منه اثنتا عشرة عينا يشربون الناس منها وينعمون بها وينتفعون إلا أنهم لم يكونوا بمستوى ذلك الإنعام الرباني، بل كانوا ينكصون من حين لآخر إلى ما يسخط الله عزّ وجلّ، وقد ذكر الحجر في القرآن الكريم في مقام الغلظة والقسوة، مشبها به قلوب اليهود التي جفت من الرحمة واللين، وأصبحت شديدة الغلظة والقسوة[2]. فقال تعالى:{ثُمَّ قَسَتۡ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَٱلۡحِجَارَةِ أَوۡ أَشَدُّ قَسۡوَةٗۚ ...} البقرة: (74).

كما بين القرآن الكريم أيضا اقتران الحجر بالعذاب، وهذا دليل على أن من كان يعبد تلك الحجارة التي هي عبارة عن تماثيل ستكون عذابه يوم القيامة، وقد حذّر من ذلك في قوله:{يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ

[1] ينظر- كاصد ياسر الزيدي، الطبيعة في القرآن الكريم، ص 169.

[2] المرجع نفسه، ص 176.

وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾}التحريم: (6)

ز- الطبيعة دون الإنسان منزلة ما لم يحد عن الحق:

إذا تحدثنا عن الطبيعة والإنسان في القرآن الكريم لابدّ من معرفة منزلة كل منها، فالطبيعة في القرآن الكريم مغايرة لمنزلتها قديما، فهي لا تستوي والإنسان في المنزلة ولا ترقى عليه أيضا، بل هي دون الإنسان في سلم الرقي الكوني، فهي كما بينها القرآن الكريم خاضعة ومسخرة له أيضا، ومظهرا من مظاهر تكريم هذا الإنسان، وإعلاء شأنه، وإشعاره برئاسته لهذا العالم المحسوس، وقد بين القرآن الكريم مكانة الطبيعة من الإنسان[1] في قوله تعالى:{ ۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾}الإسراء: (70)، فليس هناك تسوية بين الطبيعة والإنسان الذي هو متميز عن غيره من الكائنات الحية بعقل ميزه به الله ولتكن تلك التسوية عندما يفقد الإنسان آدميته وينحط في فكره وقيمه إلى مستوى ما في الطبيعة من مخلوقات يتفق وأياها في الحياة والحركة وخصائص أخرى، أي حينما يصبح هذا العقل لا يعمل وفق ما خصه به الخالق، ويصبح كالأنعام فاقدا لهويته في الحياة، نائيا عن الصواب، معرضا عن الحق[2]. أولئك قال فيهم الله عزّ وجلّ: {وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾}الأعراف: 179.

وهكذا يبين القرآن الكريم في مفهومه مكانة ومنزلة الإنسان من الطبيعة.

---

[1] ينظر- كاصد ياسر الزيدي: الطبيعة في القرآن الكريم، ص 184.

[2] المرجع نفسه، ص 185.

ح- نفي ألوهية الطبيعة في نظر الأنبياء:

عندما تتحدث عن مفهوم الطبيعة في القرآن الكريم، لابدّ أن نبحث عن مفهومها لدى الأنبياء وإثباته ونفي ما زعم به قديما بأن الطبيعة قد مال إليها بعض الأنبياء من بني إسرائيل، ومنهم سليمان عليه السلام، إلا أن ذلك لم يظهر له أثر في القرآن الكريم فالنبي سليمان عليه السلام لا يرى في الطبيعة إلا كل ما يراه كل نبي مرسل، وقد أثبت القرآن الكريم ذلك في قصته مع الهدهد الذي كان ينئه، وقد غاب عنه أمدا طويلا، ثم عاد إليه وأخبره بما رآه أن هناك امرأة تسجد هي وقومها للشمس دون الله فما كان سليمان عليه السلام إلا أن يبعث برسالة لهذه المرآة وقومها يحثهم فيها لعودة إلى الله، فكانت العبادة التي نبأ عنها الهدهد هي عبادة الشمس، بينما كانت رسالة النبي سليمان عليه السلام هي الإسلام والعودة إلى الله وترك عبادة ما سواه فكانت هذه الرسالة هي رسالة كل الأنبياء المرسلين، رغم التفاوت بينهم في الأزمان والأمصار[1]. قال تعالى: {...هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ مِن قَبۡلُ ...} الحج: 78.

وهذا ما يوضح التفاوت بينما قدمه الإنجيل في مفهوم الطبيعة لدى الأنبياء وما قدمه القرآن الكريم والذي قدم لنا صورة مشرفة لتصور الأنبياء للطبيعة وأنهم لا يروا فيها إلا مخلوقات لا تستحق عبادة ولا تقديسا، فإذا كان مفهوم الإنجيل قاتما غامضا، فإن مفهوم القرآن للطبيعة في نظر الأنبياء كان مشرقا ساميا بعيدا عن كل تأويلات.

[1] ينظر- كاصد ياسر الزيدي: الطبيعة في القرآن الكريم، ص 190.

ط- التدليل على قدرة الله وسلطانه وحكمته ونعمته:

"إذا انتقلنا إلى مسألة استدلال القرآن بعناصر الطبيعة على وجود الله ووحدانيته وقدرته وحكمته ورحمته وسلطانه....إلى آخر ما هنالك من أغراض وجدنا حديث القرآن عنها واسعا مترامما لا تكاد سورة من سور القرآن الطويلة أو المتوسطة أو القصيرة أحيانا تخلو منه"[1].

فكل شيء هو موجود في الطبيعة لا يخلو من وجود دلائل على قدرة الله وعظمته وحكمته في خلق هذا الكون، فمن يتأمل في عناصر الطبيعة ويتدبر في وجودها وكيفية سيرها وفق نظام مضبوط يتأكد بأن هناك خالقا واحدا لهذا الكون، وأن لا قدرة تعلو فوق قدرته، ولا حكمة تضاهي حكمته، فكل شيء خاضع لقوته وعظمته، مدرك تمام الإدراك بأن الله ما خلق هذا الكون باطلا بل خلقه لتفكر وتأمل عباده فيه، وأخذ العبرة والموعظة منه جاعلا من الطبيعة رابطا قويا لتقرب عباده إليه من خلال تفكرهم وتأملهم في ما حولهم، وفي ذلك دلالة على القدرة الإلهية والحق[2]. وذلك ورد في قوله تعالى:{...وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾}آل عمران 191، وهكذا يتضح بأن كل ما جاء به القرآن الكريم إنما يدل على وحدانية الله وقدرته وعظيم سلطانه وتعدد نعمه، وتفرد حكمته.

6- مفهوم المصطلح الطبيعي في القرآن الكريم:

لو قرأنا كتاب الله لوجدنا فيه ما يربو عن سبع مئة لفظ من ألفاظ الطبيعة وما تحويه من نبات وحيوان وأشجار وبحار، وظفها القرآن الكريم لوصف الطبيعة المسخرة لخدمة الإنسان، وجعلها آيات يرجع إليها كل من في قلبه شك أن الله فاطر السموات والأرض واستخدام بعضها لاحتقار والازدراء بأعمال المنافقين والكفار، يقول

[1]ينظر- كاصد ياسر الزيدي: الطبيعة في القرآن الكريم، ص 192 .

[2]المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

تعالى:{إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾}آل عمران: (190-191).

فكل ما في الطبيعة دليل على قدرة الله وإبداعه في خلقه، ومن بين ألفاظ الطبيعة الموجودة في القرآن الكريم نجد أن الله تعالى عبر بها عن الإنسان، وهذا دليل على أن القرآن الكريم معجز ببلاغته، "إن عليه لحلاوة وإنّ له لطلاوة" فانتقال معاني ألفاظ الطبيعة من معانيها الأولى إلى معاني دالة على الإنسان هو ما نسميه "المصطلح الطبيعي في القرآن الكريم" فالمصطلح الطبيعي في القرآن الكريم هو مجموع الألفاظ الطبيعية، حيوانية كانت أو نباتية لها معاني خاصة بالطبيعة وعندما جاء القرآن الكريم استخدم تلك الألفاظ للدلالة على الإنسان: يقول تعالى:{وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾}لقمان: 18.

يقول **ابن كثير** «لا تصغر لا تعرض بوجهك عن الناس احتقارا منك لهم واستكبارا عليهم، قال ابن جرير وأصل الصعر داء يأخذ الإبل في أعناقها فيلويها» [1].

فالمعروف عند العرب قبل نزول القرآن، أن الصعر داء يصيب الإبل، وعندما أتى القرآن الكريم نقل معنى الصعر من داء يصيب الحيوان إلى صفة دميمة لا يستحب أن يتحلى بها الإنسان المؤمن، وهي إعراضه عن

[1] عماد الدين أبو الفراء إسماعيل ابن كثير القرشي الدمشقي: تفسير ابن كثير، مكتبة الإمام مالك، باب الوادي، الجزائر، ط2، 1430هـ، 2009، ج6، ص 309.

الآخرين والتكبر عليهم، يقول تعالى:{إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ۝٦ }البقرة: (6).

جاء في **التفسير الوجيز لوهبة الزحيلي** «إن الذين أصرّوا على كفرهم وجحودهم وحدانية الله وإنكار رسالة محمد»[1]، فالكفر هنا إنكار وجود الله ووحدانيته، لكن الكفر لا يختص بإنكار وجود الله، فقد جاء في **شرح المعلقات السبع لعبد الله الحسين بن أحمد الزوزني** في قول **لبيد بن ربيعة:**

يعلو طريقة متها متواتر في ليلة كفر النجوم غمامها.

الكفر: التغطية والستر، ...في ليلة ستر عمامها نجومها»[2]

فسمى القرآن الكريم الذي يغطي حقيقة أن الله موجود وأنه أنزل القرآن على نبيه محمد بالكافر ونسجل أن القرآن الكريم يستخدم ألفاظ دالة على الطبيعة في وصف البشر لما يوجد بين هذا وذاك من صفات مشتركة.

[1] وهبة الزحيلي: التفسير الوجيز، دار الفكر، دمشق-سوريا، دط، دت، ص 4.

[2] أبو عبد الله بن أحمد الزوزني: شرح المعلقات السبع، ص 100.

الفصل الثاني

المصطلحات الطبيعية في القرآن الكريم

1- الحَبَط:

أ-في المعاجم اللغوية:

جاء في **معجم العين للفراهيدي** : «حبط: الحبط: وجع يأخذ في بطن البعير من كلأ يستوبله، يقال حبطت الإبل، تحبط، حبطا، وحبط عمله: فسد، وأحبطه صاحبه، والله محبط عمل من أشرك»[1].

فالحبط إذ أطلقه العرب على مرض جسماني يصيب الإبل، وليس بمختلف هذا المعنى عما ورد في **المعجم لوسيط** حيث نجد: «حبطت الدابة حبطا: انتفخ بطنها من كثرة الأكل أو من أكل ما لا يوافقها، ويقال حبط البطن، والجلد: ورم والجرح: بقيت له آثار بعد الجرح، وماء البئر ذهب ذهابا لا يعود، والحباط وجع البطن من الانتفاخ لكثرة الأكل أو لأكل ما لا يوافق»[2].

فإلى جانب معنى "الحبط" على أنه مرض جسماني، نسجل من هذا التعريف عرضا من أعراضه وهو الورم والإنتفاخ، فالحبط ورم وانتفاخ بدون فائدة، بل عكس ذلك لأنه قد يميت الدّابة.

ويتفق تعريف **ابن منظور** مع سابقيه فجاءت في **لسان العرب** «حبطت الإبل: تحبط، قال "الجوهري": الحبط أن تأكل الماشية فتكثر حتى تنتفخ بطونها ولا يخرج عنها ما فيها، وحبطت الشاة بالكسر: انتفخ بطنها عن أكل الذرق، حبط بطنه إذا انتفخ»[3].

---

[1] أبو عبد الرحمان الخليل ابن أحمد الفراهيدي: كتاب العين، تح: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، دط، دت، مادة: (ح.ب.ط).

[2] مجمع اللغة العربية: معجم الوسيط، مادة: (ح.ب.ط).

[3] ابن منظور: لسان العرب، مادة: (ح.ب.ط).

ونخرج من خلال معنى "الحبط" في المعاجم السالفة الذكر بنتيجة مفادها أنه لفظ مرتبط بالطبيعة الحيوانية، ذالك أنه مرض يصيب الأبقار والإبل جرّاء أكلها لشيء مسموم، فظاهرها يعجب كونها سمينة ومنتفخة، وباطنها لا يسر كون ذلك الانتفاخ نتيجة السّموم وأنه يمكن أن يميتها ولا ينتفع بحجمها.

ب–في التفاسير:

يقول الله تعالى:{أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمۡ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتۡ أَعۡمَـٰلُهُمۡ فَلَا نُقِيمُ لَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَـٰمَةِ وَزۡنًا ﴿١٠٥﴾ } (الكهف:105).

جاء في **المحور الوجيز لابن عطية** في تفسير "حبطت أعمالهم": «حبطت بمعنى بطلت، وأعمالهم ما كان لهم من عمل خير»[1].

فالمقصود بالحبط في الآية الكريمة هو الخسران والبطلان لأعمال طائفة من الناس، فيأتون يوم القيامة بحسنات وأعمال خير كثيرة، لكنهم لا يثابون عليها لما في نفوسهم من رياء.

ويتفق **الشيخ البيضاوي** في تفسيره للآية الكريمة مع **ابن عطية** ، فيقول في **أنوار التنزيل وأسرار التأويل** : «حبطت أعمالهم بكفرهم فلا يثابون عليها: "فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا" فنزدري بهم ولا نجعل لهم مقدارا واعتبار أو لا نضع لهم ميزانا يوزن به أعمالهم لإنحباطها»[2].

فإحباط أعمال الناس هو خسرانها وبطلانها وعدم إثابتهم عليها لما فيهم من رياء.

---

[1] القاضي محمد عبد الحق بن غالب ابن عطية الأندلسي: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تح: عبد السلام عبد السّافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان، دط، دت، ص 545.

[2] ناصر الدين أبي الخير عبد الله ابن عمر ابن محمد السّيرازي الشافعي البيضاوي: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، دار إحياء التراث العربي، بيروت، دط، دت، ص 294، 295.

فالحبط بمعناه الطبيعي هو مرض جسماني يصيب الأبقار والإبل وعبر به القرآن الكريم عن مرض نفسي يصيب طائفة من الناس فتخسر أعمالهم فإن كانت الإبل منتفخة وبلا فائدة فكذلك الإنسان الكافر لا تغنيه أعماله عن نار جهنم وستكون عليه حسرات يوم القيامة، فنقل الله مفهوم هذا المصطلح الطبيعي إلى الإنسان في صورة بلاغية متناهية الدقة وما ذالك على الله بعزيز.

2-الصَّعَر:

أ-في المعاجم اللغوية:

إذا عدنا إلى المعاجم اللغوية باحثين عن أصل الصعر سنجد أن هذا الأخير يرجع أصله إلى مرض يصيب العنق، فيقول **الفراهيدي** في **معجم العين** : «الصعر: ميل في العنق وانقلاب في الوجه إلى أحد الشقين، والتصعير إمالة الخد عن النظر إلى الناس تهاونا كبر وعظمة»[1].

وغير بعيد عن هذا المعنى نجد في **المعجم الوسيط** : «صعر: صعرا: مال عنقهُ أو وجهه إلى أحد الجانبين، وقد يكون هذا مرضا. اصعرت الدابة: اشتدت سرعتها في السير فتمايلت.

الصعر: داء في العنق لا يستطاع منه الالتفات»[2].

فالصعر قد يكون خُلقا وقد يكون مرضا وهذا الأخير أقرب إلى الأصل، فمن المرض، اشتق الخُلق.

وأورد **ابن منظور** أيضا هذا المعنى في **لسان العرب** فجاء: «الصعر ميل في العنق، وقيل الصعر الميل في الخد خاصة، وربما كان خلقا في الإنسان، وقيل ميل في العنق وانقلاب في الوجه إلى أحد الشقين، وقيل الصعر

(1) الخليل ابن أحمد الفراهيدي: كتاب العين، مادة: (ص.ع.ر).

(2) مجمع اللغة العربية: معجم الوسيط، مادة: (ص.ع.ر).

داء يأخذ البعير فيلوي منه عنقه ويميله، صعر، صعرا وهو أصعر، ويقال أصاب البعير صعر وصيد أي أصابه داء يلوي منه عنقه»[1].

فأصل الصعر الالتواء والميل في الوجه أو العنق ويحمل معنيين حيث أن الأول يكون نتيجة مرض جسدي والثاني نتيجة مرض نفسي.

ب–في التفاسير:

ورد الصعر في القرآن الكريم، فعلا منفيا، فيمكن أن نقول أنها صفة ذميمة نهى الله عن الاتصاف بها، فيقول في محكم التنزيل:{وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾} (لقمان:18).

جاء في **تفسير القرآن العظيم لابن كثير** : «لا تصعر خدك للناس لا تعرض بوجهك عن الناس إذا كلمتهم أو كلموك، احتقارا منك لهم، واستكبارا عليهم، ولكن ألن جانبك وابسط وجهك إليهم»[2].

فقد نهي الله تعالى عن الصعر والذي جاء بمعنى التكبر والاحتقار، فمن خلال هذا المعنى يجذر الإشارة إلى انتقال معنى الصعر من المرض الجسماني الذي ينتج عنه ميل في العنق إلى المرض النفسي الذي يدير فيه الإنسان عنقه عن قصد وإرادة، فاستعار الله تعالى هذا المصطلح من الطبيعة الحيوانية إلى الإنسان، وكأنه يشبه الإنسان المتكبر المريض بإعجابه بنفسه، بالحيوان المريض في جسده.

---

(1) ابن منظور: لسان العرب، مادة: (ص.ع.ر).

(2) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، ص 338.

3- الصدف:

أ- في المعاجم: تعددت تعريفات مادة "صدف" في المعاجم اللغوية لكنها لم تختلف اختلافا كبيرا في تحديد معنى هذا اللفظ ففي **لسان العرب لابن منظور** نجد: «صدف بمعنى أعرض، ومصدوف بمعنى مستور والصدف عوج في اليدين، وقيل: ميل في الحافر إلى الجانب الوحشي، وقيل هو أن يميل خف البعير إلى الجانب الوحشي وقيل الصدف ميل في القدم، وقيل هو إقبال إحدى الركبتين على الأخرى، وقيل الصدف تداني العجاجتين وتباعد الحافرين في التواء من الرسغين وهو من عيوب الخيل، وفرس أصدف متداني الفخذين، متباعد الحافرين»[1].

فابن منظور هنا يعطينا معنيين رئيسيين للصدف، فالأول هو الإعراض والستر، والمعنى الثاني هو المرض الجسماني الذي يصيب البعير ورغم تعدد الأقوال في هذا اللفظ إلى أنها تندرج تحت مفهوم واحد وهو تباعد الحافرين عند البعير المصاب في أصل الكلمة.

ولا نلمس اختلافا كبيرا بين هذا التعريف وتعريف نفس المادة في **المعجم الوسيط** حيث جاءت:«صدف: أعرض ومال، وصدف صدفا: أقبلت إحدى ركبتيه على الأخرى حين المشي فهو أصدف وهي صدفاء، والصدف هو كل شيء مرتفع عظيم، كالحائط والجبل مثل قوله تعالى:{...حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيۡنَ ٱلصَّدَفَيۡنِ قَالَ ٱنفُخُواْ ...} (الكهف:96) والصدوف المرأة التي تعرض وجهها للناضر ثم تصدف»[2].

ويعطينا **بطرس البستاني** في **محيط المحيط** تعريفا يضاف فيه على المعاني السابقة، معاني جديدة للصدف فيقول: «صدف فلان يصدف ويصدف صدفا وصدوفا، انصرف ومال عنه، وصادفه مصادفة وجده

---

[1] ابن منظور: لسان العرب، مادة: (ص.د.ف).

[2] مجمع اللغة العربية: معجم الوسيط، مادة (ص.د.ف).

ولقيهُ عن غير قصد، والعامة تقول صدفة أيضا إذا لقيه اتفاقا، والصادفة واحدة الصوادف، وهي الإبل التي تأتي الإبل على الحوض فتقف عند أعجازها تنتظر انصراف السّارية منها، فتدخل هي، ومنه الصدف حيوان من جنس السمك يخلق الله فيه اللؤلؤ »[1].

ومن خلال هذه المعاني المتنوعة والمتشابهة لمادة (ص.د.ف) يمكن أن نخرج بنتيجة مفادها أن هذا المصطلح يمكن أن يطلق على المرض الجسماني الذي يأخذ بالأقدام، أو على المرض النفسي الذي يأخذ بالإنسان جرّاء كبره أو بغضه.

ب–في التفاسير:

قال تعالى: {قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَـٰرَكُمْ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم مَّنْ إِلَـٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْـَٔايَـٰتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ ﴿٤٦﴾} (الأنعام:46).

جاء في **التفسير الصحيح لحكمت بشير بن ياسين** : «قوله تعالى يصدفون أخرج آدم ابن أبي إياس بسنده الصحيح عند مجاهد قوله تعالى "يصدفون" أي يعرضون»[2].

فالمصطلح لم يرد في سياق يتحدث فيه الله تعالى عن الحيوان وإنما ورد في سياق يتحدث في الله تعالى عن الذين يصدون عن آيات الله، فعبّر الله تعالى بهذا المصطلح الذي استُعير من الطبيعة الحيوانية عن الذين يعرضون عن آياته، فنقل المرض الجسماني إلى مرض نفسي، فكما سبق الذكر أن لغة العرب لغة طبيعية، ولهذا استعار القرآن الكريم من الألفاظ الطبيعية، حتى يفهم القارئ لكتاب الله كيفية تصريفه للآيات وضربه للأمثال.

---

[1] بطرس البستاني: محيط المحيط، مكتبة لبنان، ساحة رياض الصلح، بيروت، د.ط، 1977، مادة (ص.د.ف).

[2] حكمت بن بشير بن ياسين: التفسير الصحيح، دار المآثر، المدينة النبوية د.ط، د.ت، ص 241.

4- البخس:

أ- في المعاجم:

يقول **ابن فارس** في معجم **مقاييس اللغة** : «بخس: الباء والخاء والسين أصل واحد وهو النقص، قال تعالى:{وشَرَوْهُ بِثَمنٍ بَخْسٍ}أي: ناقصا ومن هذا الباب فولهم في المخ: بخّس تبخيسا، إذ صار في السلامى والعين وذلك حين نقصانه وذهابه في سائر البدن»[1].

فيربط هذا التعريف "البخس" بالشيء الذي ينقص ويعطينا مثالا بالمال في قصة يوسف وكذلك العقل ويعطينا **ابن منظور** تعريفا يربط فيه البخس بالأرض فقد أورد: «البخس: أرض تنبت بغير سقي، والجمع بخوس والبُخس من الزرع ما لم يسقى بماء عد إنما سقاه ماء السماء، والبخس الذي يزرع بماء السماء»[2].

وليس ببعيد عن هذا التعريف يعرفه **بطرس البستاني** في **محيط المحيط** كما يلي: «البخس أرض تنبت من غير سقي، قيل لها ذالك لأنها مبخوسة الحظ من الماء.

وشروه بثمن بخس أي مبخوس لزيفه أو نقصانه والبخسي من الزرع خلاف المسقي كما أن البخس من الأرض خلاف السقي، الأباخيس، الأصابع وأصولها والعصب»[3].

فالبخس إذا هو النقص والحرمان، وانتقل مفهومه من الأرض المحرومة من الماء في سقيها، إلى الإنسان الذي يحرم من حقه أو يُسلب منه.

---

[1] ابن فارس: معجم مقاييس اللغة، مادة (ب.خ.س).

[2] ابن منظور: لسان العرب، مادة (ب.خ.س).

[3] المعلم بطرس البستاني: محيط المحيط، مادة (ب.خ.س).

ب- في التفاسير:

يقول تعالى في محكم التنزيل:{وَيَـٰقَوۡمِ أَوۡفُواْ ٱلۡمِكۡيَالَ وَٱلۡمِيزَانَ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَلَا تَبۡخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشۡيَآءَهُمۡ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ ﴿٨٥﴾ } (هود:85).

في تفسير الآية الكريمة، نجد في **عمدة التفسير لأحمد شاكر** أنها مرتبطة بالكيل، فجاءت: «ينهاهم عن نقص المكيال والميزان إذا أعطوا الناس، ثم أمرهم بوفاء الكيل آخذين ومعطين»[1].

نسجل إذن كيف أن علاقة النقص والحرمان بين الأرض البخس وعدم إعطاء الناس حقوقهم مكنت من انتقال المصطلح من طبيعته الأرضية إلى التعبير عن الإنسان، فالأرض المحرومة من الماء هي أرض بخس، كذلك الإنسان الذي يحرم الناس من حقوقهم فقد بخسهم.

5- الصّدع:

أ-في المعاجم:

الصدع بحسب **ابن منظور** : «الصّدع: الشق في الشيء الصلب كالزجاجة والحائط وغيرهما، وجمعه: صدوع، وصدعت الغنم صِدعتين بكسر الصاد، أي فرقتين، وكل واحدة منهما صدعة، والصدع نبات الأرض لأنه يشقها فتنصدع به وتصدعت الأرض بالنبات تشققت، والصدع: الفتي الشاب من الأوعال والضباء و الإبل والحمير، وقيل هو الوسط منها»[2].

---

[1] ابن كثير: عمدة التفسير، دار الوفاء، ط2، 2005، ج2، ص 270.

[2] ابن منظور: لسان العرب، مادة (ص.د.ع).

ومن التعريفات المؤيدة لهذا التعريف، قول **الفراهيدي** في **كتاب العين** : «الصدع: الفتي من الأوعال والصدع: شق في شيء له صلابة، وصدعت الفلاة قطعت وسط جوزها، والنهر تصدع في وسطه فتشقق شقا والصدع نبات في الأرض لأنه يصدع الأرض والأرض تتصدّع منه»[1].

فالصدع إذا هو الشق، ويطلق هذا اللفظ على ما يوجد في الطبيعة من نبات أو حيوان، فالنبات صدع لأنه يشق والأرض لأنها تنشق والغنم لأنها تتفرق.

ولا نلمس اختلافا كثيرا بين ما ذُكر من تعاريف وتعريف **أبي الفتح ناصر الدين المطرّزي** في **معجم المغرب في ترتيب المعرب** فقال: «الصدع: الشق، ومنه تصدع الناس: إذا تفرقوا»[2]، وهذا التعريف يذكر لنا أصل الكلمة وهي الشق، وكذا انتقال مفهومه إلى الإنسان.

وفي معجم **مقاييس اللغة** : «الصاد والدال والعين أصل صحيح يدل على انفراج الشيء، والصدع نبات لأنه يصدع الأرض، كما في قوله تعالى "والأرض ذات الصدع" ومما سد عن الباب: الصدع: الفتي من الأوعال»[3].

فكل التعاريف إذا تعطينا معاني متقاربة للصدع وكلها تشير إلى التباعد والانشقاق والتفرقة، وأصل الكلمة يعود إلى الطبيعة بما فيها من نبات وحيوان.

---

[1] الخليل ابن أحمد الفراهيدي: كتاب العين، مادة (ص.د.ع).

[2] أبي الفتح ناصر الدين المطرّزي: المغرب في ترتيب المعرب، تح: محمود فاخوري، مكتبة أسامة بن زيد، حلب، سوريا، د.ط، د.ت، ص 468.

[3] ابن فارس: معجم مقاييس اللغة، مادة (ص.د.ع).

ب- في التفاسير:

يقلو تعالى: {فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ ٱلْقَيِّمِ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۖ يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ ﴿٤٣﴾}(الروم:43).

جاء في تفسير الآية الكريمة في **عمدة التفسير** : «يومئذ يصدعون: أي يتفرقون، ففريق في الجنة وفيرق في السعير»[1].

وبنفس المعنى فسر الشيخ **وهبة الزحيلي** في **التفسير الوجيز** الآية الكريمة فقال: « يتصدعون: أي يتفرقون بعد الحساب، فريق في الجنة وفريق في السعير»[2].

فيوم القيامة يتفرق الناس وينشقوا كما تتشقق الأرض ولهذا استعار القرآن الكريم "الصدع من الطبيعة ليبين للناس أنهم لن يكون مع بعضهم كما هم في الأرض وإنما الصدع يوم القيامة فريق في الجنة وفريق في السعير.

6- الهيام.

أ-في المعاجم:

نجد في **لسان العرب لابن منظور** : «الهُيام بالضم داء يصيب الإبل من ماء تشربه ويقال: بعير هيمان، وناقة هيمى، والهيام بالكسر الإبل العطاش وهو من الداء مهيوم، وقوم هيم أي عطاش، وقيل هو الرمل أو التراب الذي لا يتمالك أن يسيل من اليد للينه»[3].

---

[1] ابن كثير: عمدة التفسير، ص 824.

[2] وهبة الزحيلي: التفسير الوجيز على هامش القرآن العظيم، ص 410.

[3] ابن منظور: لسان العرب، مادة (هـ.ي.م).

فالهيام هنا مرتبط بالإبل وهو بالتحديد من داء يصيبها فتشرب ولا ترتوي.

ويعرفه **الفراهيدي** في **عينه** : «هيم: الهيمان: العطشان، الهائم المتحير، هام يهم، والهيام من الرمل من الرمل ما كان دقاقا يابسا والهيام كالمجنون من العشق، والهيماء: مفازة لا ماء فيها»[1].

فيتفق هذا التعريف مع تعريف **ابن منظور** مع إضافة **الخليل ابن أحمد الفراهيدي** لمعاني أخرى.

ويعطينا "بطرس البستاني" في "محيط المحيط" ثلاث معان رئيسة للهيام كلها مرتبطة بالطبيعة فيقول: «الهيام: هو داء يصيب الإبل فتعطش، فلا ترتوي، والهيام: ما لا يتماسك من الرمل فينهار، وليل أهيم: لا نجوم فيه»[2].

فالهيام هنا يرتبط بالطبيعة من ثلاث جوانب وهي الطبيعة الأرضية والسماوية، والحيوانية.

وقال **ابن فارس** في **معجم مقاييس اللغة** : «هيم: الهاء والياء والميم كلمة تدل على عطش شديد، فالهيمان: العطش، والهيم: الإبل العطاش، والهيم الرمال التي تبتلع الماء، والهيام داء يصيب الإبل عند عطشها فتهيم في الأرض لا تروي، والهيماء: المفازة التي لا ماء فيها»[3].

نسجل مما سبق أن المقصود من لفظ "الهيام" المرض الذي ينتج عن العطش الشديد، فالمريض من الإبل لا يرتوي عند شربه، وانتقل هذا المفهوم للدلالة على الجنون من العشق وكذلك الرمل الين الذي لا يتماسك.

ب- في التفاسير:

يقول تعالى: {فَشَٰرِبُونَ شُرۡبَ ٱلۡهِيمِ ۝٥٥} (الواقعة:55).

---

[1] الخليل ابن أحمد الفراهيدي :كتاب العين، مادة (هـ.ي.م).

[2] المعلم بطرس البستاني: محيط المحيط، مكتبة لبنان، بيروت، دط، 1987، مادة (هـ.ي.م).

[3] ابن فارس: معجم مقاييس اللغة، مادة (هـ.ي.م).

نجد في تفسير **البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي** : «الهيام داء يصيب الإبل فتشرب حتى تموت أو تسقم سقما شديدا»[1].

هذا التفسير ركزّ على طبيعة اللفظ وكيف يعذب الله الكفار يوم القيامة بمرض يصيب الإبل، فنقل القرآن الكريم المصطلح من لفظه المعروف على أنه مرض دنيوي طبيعي إلى مفهوم جديد وهو أنه عقاب للإنسان في نار جهنم وبيس المصير.

7- الكظم:

1-في المعاجم:

جاء في **كتاب العين للخليل ابن أحمد الفراهيدي** : «كظم: الرجل غيظه، اجترعه، وكظم البعير جرته إذ ازدردها وكف عنها، ويقال للإبل كظوم، وناقة كظوم أيضا، إذا لم تجبّر، والكظم مخرج النفس والكظامة سير نوصله بوتر القوس العربية، وربما كانت حبلا يكظم به خطْم البعير»[2].

فهذا إحدى معاني الكظم، ويضاف في **المعجم الوجيز** معاني أخرى فقد ورد الكظم بمعنى: «كظم السقاء كظما: ملأه وسد فاه، والرجل كظم غيضه: أمسك على ما في نفسه منه صافحا أو مغيظا، فهو كاظم، وكظمي الغيظ: فأنا كظيم ومكظوم»[3].

---

[1] أبو حيان الأندلسي: تفسير البحر المحيط، تح: علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، دط، دت، ج8، ص 208.

[2] الخليل ابن أحمد الفراهيدي:كتاب العين، مادة (ك.ظ.م).

[3] مجمع اللغة العربية: معجم الوجيز، مادة (ك.ظ.م).

فكظم السقاء يشبه كظم الغيظ أو كظم البعير لجرته لأن كلا منها تفيد الحبس والإمساك، ويعرفه **شهاب الدين الحموي** في معجم البلدان تعريفا يتفق مع سابقيه، حيث جاء: «الكظم: إمساك الفم، والكاظم: المطرق لا يجر من الإبل»[1].

ومن خلال معاني "الكظم" المختلفة نسجل أنها الحبس والكتم سواء بمعناها الطبيعي عند الحيوان، أو بمعناها عند الإنسان فرد الأكل في الجوف يقابله رد الغضب وكتمه وعدم إظهاره.

ب- في التفاسير:

ورد لفظ الكظم في القرآن الكريم في صيغة جمع المذكر السالم في وقله تعالى: {ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤} (آل عمران: 134).

ربط الله تعالى كظم الغيظ بالإحسان والعفو، فهذه إذا من الصفات المستحبّة عند الله تعالى، وفي حديثنا عن تفسير الآية الكريم، نجد في تفسير **ابن عطية** المعروف **بالمحرر الوجيز**: «كظم الغيظ، رده في الجوف إذا كاد يخرج من كثرته، فضبطه ومنعه كظما له»[2].

ويعطينا أيضا المعنى الطبيعي للكظم، لتبيان العلاقة بين الأصل والمصطلح بمفهومه الجديد فيقول «كظم البعير جرته: ازدردها في جوفه، وقد يقال لحبسه الجرة قبل أن يرسلها إلى فيه»[3].

نخرج إذا بخلاصة مفادها أن كتم الغضب وعدم إظهاره من قبل الإنسان المسلم يقابله حبس البعير للأكل في جوفه، وهذه المقابلة في المفهوم فاستخدم القرآن الكريم هذا المصطلح لتوضيح المعنى، ولا نفهم من ذلك

---

(1) شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الروسي البغدادي: معجم البلدان، دار صادر، بيروت-لبنان، دط، 1977، مادة (ك.ظ.م).

(2) ابن عطية الأندلسي: المحور الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ص 509.

(3) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

أن القرآن الكريم يذم هذه الصفة ويشبه المتحلي بها بالحيوان بل عكس ذالك تماما فهي من الصفات التي حبذا لو تحلى بها كل فرد مسلم لأن الله يعقب إيرادها بقوله تعالى:{...وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ } (آل عمران: 134).

8- الفصاحة.

أ- في المعاجم:

من المعروف عند الجميع أن الفصاحة متعلقة بالطلاقة في الكلام، لكن أصل الكلمة يعود إلى اللبن الذي زالت رغوته فقد ورد اللفظ في **المعجم الوجيز** : «فَصُحَ: اللبن فصحًا. وفصاحة: خلص مما شوبه فأخذت عنه رغوته وبقي خالصة ويقال: فصح الأعجمي: جادت لغته فلم يلحن، وهو فصيح. (ج) فصحاء، وهي فصيحة: (ج) فصائح. أفصح الصبح: بدا ضوئه وظهر، ويقال أفصح الأمر: وضح. (الفصاحة) البيان، وسلامة الألفاظ من الإبهام وسوء التأليف (الفصيح)-يقال: رجل فصيح: طلق يعين صاحبه على إجادة التعبير»[1]. فالفصيح إذا هو ما ذهبت رغوته من لبن، وهو من اتضح كلامه من إنسان ولا يختلف هذا التعريف عما أورده **ابن منظور** في **لسان العرب** حيث قال: «الفصاحة: البيان، فصح الرجل فصاحة، فهو فصيح من قوم فصحاء وفصاح وفصح وأفصح اللبن: ذهب اللبأ عنه، والمفصح من اللبن كذالك، وفصح اللبن إذا أخذت عنه الرغوة، وأفصحت الشاة والناقة خلص بينها، وقال اللحياني: أفصحت الشاة إذا انقطع لبؤها وجاء اللبن بعده»[2].

فكلا التعريفين يتفقان على أن الفصاحة تحمل معنيين يتعلق أحدهما بالإنسان والآخر بالأنعام.

---

[1] مجمع اللغة العربية: المعجم الوجيز، مادة (ف.ص.ح).

[2] ابن منظور: لسان العرب، مادة (ف.ص.ح).

وليس ببعيد عما سبق من تعريفات نجد **الفراهيدي** يعرفه الفصاحة في **كتاب العين** كما يلي:«تفصيح اللبن: ذهاب اللبأ عنه وذهاب رغوته فصح اللبن تفصيحا، ورجل فصح فصاحة، وأفصح الرجل القول، والفصيح في كلامه العامّة المعرب»[1].

فكل التعريفات تصب في نفس المعاني للكلمة، ولعل الأصل هو اللبن الصافي ومنه انتقل المعنى إلى الكلام المفهوم الذي ذهب عنه اللبس والغموض.

ب- في التفاسير:

ورد لفظ الفصاحة في القرآن الكريم بصيغة التفضيل على وزن "أفعل" في قوله تعالى: {وَأَخِي هَـٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِيٓ ۖ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ}(القصص:34).

جاء في تفسير **التحرير والتنوير لمحمد الطاهر بن عاشور** : «هذا سؤال صريح يدل على أن موسى لا يريد بالأول التنصل من التبليغ ولكنه أراد تأييده بأخير، وإنما عيّنه ولم يسأل مؤيدا ما لعلمه بأمانته وإخلاصه لله ولأخيه، وعلمه بفصاحة لسانه»[2].

فالفصاحة هنا جاءت متعلقة بالكلام واللسان، أي أن هارون يجيد الكلام بطلاقة ويحسنه، وفي تفسير الآية الكريمة يقول **الشيخ الشعراوي** : «معنى الردءْ: المعين، وعرفنا من قصة موسى -عليه السلام- وهو صغير في بيت فرعون أنه أصابته لثغة في لسانه، فكأن ثقيل النطق، لا ينطلق لسانه، لذالك أراد أن يستعين بفصاحة أخيه هارون ليؤيده، ويظهر حجته، وينال فضلا ورفعه معه»[3].

---

[1] الخليل ابن أحمد الفراهدي:كتاب العين مادة (ف.ص.ح).

[2] محمد الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، دط، د.ت، ص 116.

[3] محمد متولي الشعراوي: خواطر حول القرآن الكريم، دار الفكر العربي، دط، 1989، ص 10919-10920.

فالفصاحة استعيرت من الطبيعة في القرآن الكريم للدّلالة على الإنسان الذي يجيد الكلام ولا يشوبه أي شائبة، ويتشارك اللفظان في الصفاء وذهاب الشوائب، فالرغوة في اللبن يقابلها التلعثم في الكلام.

9- الكفر:

أ- في المعاجم:

ذكر **ابن منظور** في **لسان العرب**: «كل من ستر شيئا فقد كفره، والكافر: الزرّاع الذي يستر البذر بالتراب والكفّار: الزرّاع، والكفر بالفتحة التغطية، والكافر: الليل لأنه يستر بظلمته كل شيء وكفر الجهل على علم فلان: غطّاه، والكافر: البحر لستره ما فيه»[1].

فالكفر إذا يمكن إطلاقه على كل من ستر شيئا وغطّاه سواء أكان عاقلا أو غير عاقل.

وإذا ذهبنا إلى **معجم العين** فنجد **الفراهيدي** يعرفه كما يلي: «الكافر: الليل والبحر، ومغيب الشمس وكل شيء غطّى شيئا فقد كفره والكافر النهر العظيم»[2].

وفي هذا المعنى يقول **ابن فارس** : «كفر: الكاف والفاء والراء أصل صحيح يدل على معنى واحد وهو الستر والتغطية: يقال لمن غطّى درعه بثوب: قد كفر درعه، والمكفر: الرجل المتغطي بسلاحه، ويقصد بالكافر البحر، والنهر العظيم، ويقال للمزارع كافرا لأنه يغطي الحب بالتراب. والكفر ضد الإيمان، سمي كفرا لأنه تغطية للحق وكذلك كفران النعمة أي جحودها وسترها»[3].

---

[1] ابن منظور: لسان العرب، مادة (ك.ف.ر).

[2] الخليل ابن أحمد الفراهيدي:كتاب العين، مادة (ك.ف.ر).

[3] ابن فارس: معجم مقاييس اللغة، مادة (ك.ف.ر).

نخلص إلى أن الكفر مصطلح يتغير مفهومه بين الإنسان والطبيعة بما تحويه من بحار وأنهار وسماء وسحب، وقد اشترك كل ما ذكر في صفة واحدة هي التغطية والستر.

ب- في التفاسير

يقول تعالى:{ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا لَعِبٞ وَلَهۡوٞ وَزِينَةٞ وَتَفَاخُرُۢ بَيۡنَكُمۡ وَتَكَاثُرٞ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَوۡلَٰدِۖ كَمَثَلِ غَيۡثٍ أَعۡجَبَ ٱلۡكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصۡفَرّٗا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمٗاۖ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٞ شَدِيدٞ وَمَغۡفِرَةٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٞۚ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ}(الحديد:20)

جمع الله تعالى في الآية الكريمة بين المعنى الأصل للكفر ومعناه الجديد فالأول أن الكفار هم الزرّاع والثاني أن الكفار هم الذين تلهيهم أموالهم وأولادهم عن ذكر الله فيفسر **ابن كثير** قول تعالى:{أعجب الكفار نباته} يقول:«يعجب الزرّاع نبات ذالك الزرع الذي نبت بالغش وكما يعجب الزرّاع ذالك، كذلك تعجب الحياة الدنيا الكافر، فإنهم أحرص شيء عليها وأميل الناس إليها»[1].

فالزّارع إذا أشبه بالكافر والنبات أشبه بحياتهم فضرب الله هذا المثل ليختصر للإنسان حياته التي شبهها بنبته في الأرض وذكر مراحلها حتى تصير حطاما فكذلك الإنسان مهما كفر وغطى الحق فسوف يأتي عليه يوم يصبح شيخا خائر القوى، يعجزه الشيء اليسير.

[1] ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، ص 24.

10- الزكاة:

أ- في المعاجم:

المعروف عندنا أن الزكاة هو أحد أركان الإسلام، لكن لو اطّلعنا على بعض المعاجم لوجدنا أصل الكلمة ذو خلفية طبيعية مرتبطة بالنبات والزرع، فوردت في **معجم العين** : «زكا (زكو): الزكوات: جمع الزكاة، والزكاة: الصلاح، وزكا الزرع يزكوا زكاءا ازداد ونما، وكل شيء ازداد ونما فهو يزكو زكاءً»[1].

وشاركه **ابن منظور** في هذه الدلالة، فأورد في **لسانه** : «زكا: الزكاء، ممدود: النماء والريع، زكا يزكو زكاءً وزكوا، والزكاء ما أخرجه الله من تمر؛ وأرض زكية: طيّبة، والزرع يزكوا زكاءً: أي نما وأزكاه الله، وكل شيء يزيد وينمو فهو يزكو زكاءً»[2].

فالزكاة إذا وردت في المعاجم بدلالتها الطبيعية، فهي نمو الزرع في أرض طيبة ويمكن وصف الأرض بالزّكيّة لطيبتها وإخراجها لتمرها.

أما في **مقاييس اللغة** فيقول **ابن فارس** : «الزاي والكاف والحرف المعتل أصل يدل على نماء وزيادة ويقال زكاة المال، وهو زيادته ونماؤه والأصل في كل ذلك راجع إلى هذين المعنيين: وهما النماء والطهارة، ومن النماء: زرع زاك»[3].

فالزكاة إذا تدل على النماء ويمكن أن نقول أنها عكس الربا لأن الزكاة هو النماء الطيب الطاهر، والربا هو النماء الفاسد وأصل الكلمة كما سبق الذكر يعود إلى الطبيعة الأرضية وقد ورد في القرآن الكريم عدة مرات وبصيغ مختلفة.

---

(1) الخليل ابن أحمد الفراهيدي:كتاب العين، مادة (ز.ك.ى).

(2) ابن منظور: لسان العرب، مادة (ز.ك.ى).

(3) ابن فارس: معجم مقاييس اللغة، مادة (ز.ك.ى).

ب- في التفاسير.

يقول الله تعالى: {خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةٗ تُطَهِّرُهُمۡ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيۡهِمۡۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٞ لَّهُمۡۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ١٠٣} (التوبة:103).

نجد في **التحرير والتنوير** في تفسير الآية الكريمة: « التزكية جعل الشيء زكيا أي كثير الخيرات إشارة إلى مقام التخلية عن السيئات وقوله (تزكيهم) إشارة إلى مقام التحلي بالفضائل والحسات»[1].

ولو نعود إلى علاقة اللفظ (زكي) في الطبيعة، وإيراده كمصطلح في القرآن لوجدنا العلاقة كالآتي:

قوله تعالى "خُد" فهو دليل على الإنفاق فكذلك في الأرض فإننا نضع البذور تحت التراب، وقوله تعالى "تزكيهم" فمعناها أن ذلك الأخذ لا يولد النقصان وإنما يأتي بالزيادة ويقولها الله تعالى صراحة: {مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتۡ سَبۡعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٖ مِّاْئَةُ حَبَّةٖۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ٢٦١} (البقرة:261).

فالزرع عندما يلقى في الأرض ينبت أكثر، والمال عندما ينفق في سبيل الله يزيد ويكثر، ولهذا شبّه الله تعالى الصدقات بالبذور التي تزكى.

11- البور.

أ- في المعاجم:

[1] الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير، ص 23.

يرى **بطرس البستاني** في **محيط المحيط** أن «البور: الأرض البور لم تزرع ولم تعمر، والبائر ما بار من الأرض فلم تعمر، والبور كذلك الأرض قبل أن تصلح للزرع، والبور الرجل الفاسد والهالك لا خير فيه، ويقال امرأة بور وقوم بور»[1].

ومن التعريفات الموافقة لهذا التعريف نجد في **المختار من صحاح اللغة** في تعريف مادة (ب.و.ر): «ب و ر–البور، الرجل الفاسد الهالك لا خير فيه، والبور: الأرض التي لم تزرع، وبار المتاع: كسد، وبار عمله: بطل»[2].

أما في **لسان العرب** يقول **ابن منظور**:« الأرض التي لا تزرع، والمعامي المجهولة والأغفال ونحوها، والبور: الأرض الخراب التي لم تزرع وبور الأرض: ما بار منها ولم يزرع، والبور بفتح الباء وسكون الواو، الأرض كلها قبل أن تستخرج حتى تصلح للزرع أو الغرس»[3].

فالبور إذا مرتبط بالهلاك والفساد وهو نقيض الصلاح وكما سبق الذكر في المعاجم، فإن البور هي تلك الأرض التي لم تزرع ولم تعمر، وهذا اللفظ له اشتقاقات عدة تحمل دلالات مختلفة، وقد ورد هذا اللفظ في القرآن الكريم في حديث الله عن طائفة من الناس ووصفهم بالقوم البور.

ب– في التفاسير:

يقول سبحانه وتعالى:{قَالُواْ سُبۡحَـٰنَكَ مَا كَانَ يَنۢبَغِي لَنَآ أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنۡ أَوۡلِيَآءَ وَلَـٰكِن مَّتَّعۡتَهُمۡ وَءَابَآءَهُمۡ حَتَّىٰ نَسُواْ ٱلذِّكۡرَ وَكَانُواْ قَوۡمَۢا بُورًا ﴿١٨﴾ } (الفرقان:18).

---

[1] بطرس البستاني: محيط المحيط، مادة (ب،و،ر).

[2] محمد محي الدين عبد الحميد: المختار من صحاح اللغة، مطبعة الاستقامة، القاهرة، مصدر، دط، دت، مادة (ب.و.ر).

[3] ابن منظور: لسان العرب، مادة (ب.و.ر).

يقول **ابن كثير** في **تفسير القرآن العظيم** : «قوما بورا أي هلكى أو لا خير فيهم بنسيانهم ذكر الله»[1].

فالأرض البور هي تلك الأرض التي لا تخرج ما يلقى فيها من بذر حتى ولو لقيت عناية كافية، والله تعالى شبه بها النفوس البور التي لا تخرج ما يلقى فيها من مواعظ وتذكير ولو حرصت.

12- الطغي والطغيان.

أ- في المعاجم:

أعطى **مجمع اللغة العربية** في **المعجم الوسيط** عدة معاني للطغي، فجاء في مادة (ط.غ.ي): «طغى: طغيا وطغيانا: جاوز الحد المقبول والماء فاض وتجاوز الحد في الزيادة، والبحر هاجت أمواجه، ويقال طغى الموج، وفلان: غلا في العصيان وتجبر وأسرف في الظلم، والطاغية المعتدي كثير العصيان، والشيطان والكاهن وكل ما عبد من دون الله. والطغيان في الجيولوجيا: انغمار الأرض بماء البحر لمسافات شاسعة تتراكب عليها رواسب البحر»[2].

فهذه مجموعة من المعاني للطغي والتي تتراوح بين معاني خاصة بالطبيعة وأخرى بالإنسان.

وغير بعيد عن هذا التعريف جاء في معجم **العين**: «كل شيء يجاوز القدر فقد طغى مثلما طغى الماء على قوم نوح، وطغت الصيحة على ثمود، والطاغية: الجبار العنيد، والطُّغية: المكان المشرق من الجبل، ويقال: سمعت طغية، أي صوته ومديحه»[3].

---

[1].ابن كثير : تفسير القرآن العظيم، ص 292.

[2] مجمع اللغة العربية: معجم الوسيط، مادة (ط.غ.ى).

[3] الخليل ابن أحمد الفراهيدي: كتاب العين، مادة (ط.غ.ى).

ومن خلال تعريف **الفراهيدي** نخلص أنه وإلى جانب المعاني السابقة فإن الصوت المرتفع أيضا يعد طغيانا.

ويقول **ابن فارس** في **مقاييس اللغة** : «طغى: الطاء والغين والحرف المعتل أصل صحيح منقاس، وهو مجاوزة الحد في العصيان، يقال هو طاغ وطغى السيل إن جاء بماء كثير، وطغى البحر إن هاجت أمواجه»[1].

من التعاريف السابقة نستنتج أن كلمة "الطغي" تحمل معنى التجاوز والزيادة في الشيء وعند الإنسان هي العلو والتكبر والمعنى الأول هو الأصل والمعنى عند الإنسان إنما هو إحدى مشتقات اللفظ، لمناسبة بين المعنيين.

ب- في التفاسير:

ورد مصطلح الطغي في القرآن الكريم للتعبير عن أصله أحيانا وبمفهومه الجديد المتعلق بالإنسان أحيانا أخرى ولمعرفة العلاقة بينهما يجدر معرفة المقصود من الطغيان عند الإنسان.

يقول تعالى:{ وَلَوۡ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ ٱسۡتِعۡجَالَهُم بِٱلۡخَيۡرِ لَقُضِيَ إِلَيۡهِمۡ أَجَلُهُمۡۖ فَنَذَرُ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ ﴿١١﴾} يونس:11. جاء في تفسير **التحرير والتنوير** : «وقوله "في طغيان يعمهون" تقدم نظيره في قوله "ويمدهم في طغيانهم يعمهون" في سورة البقرة والطغيان: الكفر»[2].

فالكفر المقصود هنا ليس إنكار الدين الإسلامي ونبوة محمد صلى الله عليه وسلم فقط، وإنما العلو على هذا الدين والاستهزاء بمن يدخل فيه، وحتى تعذيبه وكذا تحدي الله سبحانه وتعالى.

---

[1] ابن فارس: معجم مقاييس اللغة، مادة (ط،غ،ى).

[2] الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير، ج11، ص 108.

وهنا تكمن العلاقة والمناسبة في استعارة القرآن الكريم من الطبيعة ليوضح للكفار ما هم عليه، فانتقل مفهوم "الطغيان" من مجاوزة الماء إلى اليابس وعلوه عليها إلى مجاوزة طائفة من الناس لكتاب الله وحدوده وعلوهم عليها.

13- النفاق:

أ- في المعاجم:

يقول **ابن فارس في معجم مقاييس اللغة** : «نفق: النون والفاء والقاف أصلان صحيحان، يدل أحدهما على انقطاع شيء وذهابه، والآخر على إخفاء الشيء وإغماضه، والأصل في النفق: سرب في الأرض له مخلص إلى مكان، والنافقاء: موضع يرققه اليربوع من جحره فإذا أتى من قبل القاصعاء ضرب النافقاء برأسه فانتفق، أي خرج، ومن اشتق النفاق، لأن صاحبه يكتم خلاف ما يظهر، فكا أن الإيمان يخرج منه أو يخرج هو من الإيمان في خفاء»[1].

فهذا التعريف يعطينا الأصل في "النفاق" الذي يعود إلى الطبيعة الحيوانية، ويعطينا كذلك مشتقاته مثل كتم الإيمان.

وبحسب **الفراهيدي**، فقد أورد في **كتاب العين**: «نفقت الذابة: ماتت والنفق: سرب في الأرض له مخلص إلى مكان، والنافقاء موضع يرققه اليربوع في جحره، فإذا أخذ من قبل القاصعاء، ضرب النافقاء برأسه فانتفق منها»[2].

أما في **المعجم الوجيز** : «نافق فلان، أظهر خلاف ما يبطن.

---

[1] ابن فارس: معجم مقاييس اللغة، مادة (ن.ف.ق).

[2] الخليل ابن أحمد الفراهيدي: كتاب العين، مادة (ن.ف.ق).

والمنافق: من يظهر الكفر ويخفي الإيمان.

والنفق: سرب في الأرض له مدخل ومخرج»[1].

فالنفق إذا هو المسلك والمخرج ومنه النفاق في القرآن والذي يقصد به، إخفاء الكفر وإظهار الإيمان والموالاة للرسول صلى الله عليه وسلم.

ب- في التفاسير:

لقد جاءت في القرآن الكريم سورة كاملة تحمل إحدى مشتقات النّفاق وهي المنافقون.

يقول تعالى: {إِذَا جَآءَكَ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ قَالُواْ نَشۡهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥۗ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ۝١} (سورة المنافقين 1).

نجد في **عمدة التفسير** تفسير الآية: « يقول تعالى مخبرًا عن المنافقين أنهم إنّما يتفوهون بالإسلام إذا جاءوا النّبي -صلى الله عليه وسلم- فأمّا في باطن الأمر فليسوا كذلك، بل على الضد من ذلك»[2].

فمصطلح النفاق في القرآن الكريم، يضاف إلى طبيعته الأرضية، صفة الكذب "إن المنافقين لكاذبون".

فشبه المنافق باليربوع لأن كلاهما يتخذ مسلكا ومخرجا لإنقاذ نفسه لكن الإنسان إضافة إلى اتخاذه مسلكا ومخرجا فإنه يستخدم الكذب في ذالك.

فذلك المسلك أو المخرج هو المناسبة التي سمحت بانتقال اللفظ الطبيعي إلى مصطلح قرآني يخص به الله تعالى طائفة من الناس.

---

[1] مجمع اللغة العربية، المعجم الوجيز، مادة (ن.ف.ق).

[2] ابن كثير: عمدة التفسير، مج: 08، ص125.

14- التبيع:

أ- في المعاجم:

يقول **ابن منظور** في **لسان العرب**: «تبع الشيء تبعا وتباعا في الأفعال وتبعت الشيء تبوعا: سرت في إثره، واتّبعه وأتبعه وتتبعه: قفاه. وأتبعه الشيء: جعله له تابعا، والتبيع: الفحل من ولد البقر لأنه يتبع أمه، وقيل هو تبيع: أول سنة، والجمع أتبعة، والأنثى تبيعة»[1].

وليس ببعيد عن هذا التعريف، يقول **الفراهدي** في **كتاب العين** «التابع: التالي، ومنه التتبع والمتابعة والإتباع، والتبيع: العجل المدرك من ولد البقر الذكر، لأنه يتبع أمه بعدو، والعدد: أتبعه، والجمع أتابيع وبقر متبع أي خلفها تبيع، وتبعت شيئا، واتبعت سواء، وأتبع فلان فلانا إذ تبعه يريد شرّا»[2].

وسمي التبيع تبيعا لأنه لا يملك قوة ولا حيلة لصغر سنه فهو يعتمد على أمه، ومنه انتقل المعنى إلى الإنسان الذي يتبع شخصا آخر لخير أو يتّبعه لشر، ومنه أيضا سمي الشيطان تبيعا لأنه يريد بالإنسان شرا.

وورد اللفظ أيضا في ال**معجم الوجيز** بمعنى لا يختلف عن سابقيه فجاء: «تبع الشيء تبعا وتبوعا: سَار في أثره، أو تلاه، وتبع المصلي الإمام: حذا حذوه واقتدى به، واتْبِعَت الماشية ونحوها: صارت ذات تبيع فهي متبع أو متبعه والتبيع: ولد الماشية (ج) أتباع»[3].

فالتبيع هو الذي يسير على أثر الشيء لتحقيق غاية ما وتتحدد هذه الغاية من خلال معرفة المتبع، فإن كان من الماشية فالغاية هي الحماية والأمان، وإن كان إنسان خير فهي الهداية والنصح، وإن كان إنسان شر هي الإفساد والشر.

---

[1] ابن منظور: لسان العرب، مادة (ت.ب.ع).

[2] الخليل ابن أحمد الفراهيدي: العين، مادة (ت.ب.ع).

[3] مجمع اللغة العربية: معجم الوجيز، مادة (ت.ب.ع).

ب- في التفاسير:

لقد ورد لفظ "التبيع في القرآن الكريم باشتقاقات عدة ومنها قوله تعالى:{وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا فَأَتۡبَعَهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ ١٧٥} (الأعراف: 175).

يقول **ابن عطية** في تفسير قوله تعالى: "فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين": «أتبعه صيره تابعا له، قال الطبري إما الضلالة رسمها له وإما لنفسه، وقرأ الجمهور "فأتبعه" بقطع الألف وسكون التاء، وهي راجحة لأنها تتضمن أنه لحقه وصار معه، وقرأ الحسن فيما روي عن هارون "فاتّبعه" بصلة الألف وشَد التاء، وكذلك طلحة بن مصرف بخلاف "ومن الغاوين" أي الضالين»[1].

وإضافة إلى هذا التفسير الذي أعطى "للتبيع" معنى صار تابعا له فاللفظ نفسه يحمل معنى أضعفه، وهنا تكمن بلاغة القرآن الكريم في نقل المعنى من الطبيعة إلى الإنسان، فالتبيع كما سبق الذّكر، الفصيل الذي يتبع أمه لضعفه ولعدم امتلاكه للقوة، وكذلك القرآن الكريم فيه قوة وطاقة، ومن يترك آيات الله ويعرض عنها يفقد تلك الطاقة ويضعف، فيعقب الله تعالى هذه الآية بقوله: {وَلَوۡ شِئۡنَا لَرَفَعۡنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخۡلَدَ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلۡكَلۡبِ إِن تَحۡمِلۡ عَلَيۡهِ يَلۡهَثۡ أَوۡ تَتۡرُكۡهُ يَلۡهَثۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَاۚ فَٱقۡصُصِ ٱلۡقَصَصَ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ١٧٦} (الأعراف: 176).

فمن يعرض عن آيات الله يصبح دون طاقة مثل الكلب، ويفقد قوته ويصير تابعا الشيطان دون قوة أو حيلة مثل الفصيل الصغير الذي يتبع أمه فسبحان الذي أنزل هذا الكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

[1] ابن عطية: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ص 476.

15- الأبى :

أ- في المعاجم اللغوية:

جاء في معجم **العين الفراهيدي** : «أبي: الأبى: مقصور: داء يصيب الماعز في رؤوسها، فلا تكاد تسلم (...) أبيت العنز تأبى أبًى شديدا (...) وعند أبية، وتبيت أبٍ»[1].

فالأبى كما ورد في تعريف **الخليل بن أحمد الفراهيدي**، داء يصيب المعز في رؤوسها، يؤدّي بها إلى ترك طريقها، وهذا المصطلح ذو طبيعة حيوانية بدل في معناه الظاهر على ترك الطاعة والميل إلى المعصية.

وغير بعيد عن هذا التعريف جاء في **معجم مقاييس اللغة** : «أبى: الهمزة والباء والياء يدلّ على الامتناع ولا يبعد أن يكون الأباء من هذا القياس، وهو وجع يأخذ المعزى عن شمّ أبوال المروى»[2].

ففي هذا المعجم أيضا ورد مصطلح "أبي" للدلالة على ذلك المرض الذي أخذ المعز في رؤوسها جراء ما تشمه من أبوال المروى، فتميل عن مسارها المقصود.

وقد ورد في معجم **محيط المحيط لبطرس البستاني**: «أبى: الشيء يأباه ويأبيه إباءً وإباءة، وأبيَّ: امتنع، وأبى الفصيل يأبى أبًى وأبي يُأبى سنق من اللبن، والعنز شمت بول الأرويّ فمرضت فهي أبوى»[3]. فهذا المصطلح، قد أجمع عليه أغلب اللغويين بأنه مرض يصيب الماعز في رؤوسها بسبب شمّها لبول الأروى، فتنصرف عن مسارا إلى مسار آخر، وقد جاء هذا المصطلح في القرآن الكريم بدلالة مغايرة لما هو في المعاجم اللغوية، حيث دلّ على ترك الطاعة والميل إلى المعصية.

---

(1) الخليل بن أحمد الفراهيدي: كتاب العين: مادة (أ.ب. ى).

(2) ابن فارس: معجم مقاييس اللغة، مادة (أ.ب. ى).

(3) بطرس البستاني: محيط المحيط: مادة (أ.ب. ى).

ب- في التفاسير:

قال الله تعالى:{وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٨٩﴾}(الإسراء: 89).

ورد في تفسير هذه الآية للمفسر الشيخ **الطّاهر بن عاشور** ما يلي: «أبى: أي أبى العمل به، وفي قوله: "إلا كفر" تأكيد الشيء بما يشبه ضده أي تأكيد في صورة النقص لاما فيه من الإطماع بأن أبياتهم غير مطردة، ثم يأتي المستثنى مؤكدًا لمعنى المستثنى منه إذا لكفور أخص من المفعول الذي حذف للقرينة وهو استثناء مفرغ لما في فعل "أبى" من معنى النفي الذي هو شرط الاستثناء المفرغ لأن المدار على معنى النفي، مثل الاستثناء من الاستفهام المستعمل للنفي»[1].

ورد مصطلح "أبى" في القرآن الكريم بدلالة معروفة وواضحة وهو الميل إلى المعصية وترك الطاعة، وهو في المعاجم اللغوية ذو طبيعة حيوانية على شاكلة مرض جسدي يصيب الماعز في رؤوسها وقد أُعير هذا المصطلح وتحوله من مرض جسدي إلى مرض نفسي يصيب الإنسان العاصي التارك للطاعة، المتبع للمعصية هذا الإنسان شبهه الله سبحانه وتعالى بتلك العنزة المصابة بذلك الدّاء وذلك بسبب إعراضه عن الطاعة وانحرافه عن الاستقامة وسيلة نحو المعصية، فما كان جزاؤه من الله إلا أن كان شبهًا بالعنزة الضالة لطريقها نتيجة إصابتها بالمرض.

[1] محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، ص 205.

16- الجموح:

أ- في المعاجم اللغوية:

جاء في **كتاب العين للفراهيدي** : «جمح: الفرس بصاحبه. جماحًا: إذا ذهب جريحا غالبًا، وكل شيء مضى لوجهه على أمر فقد جمح، وفرس جموح: جامح، الذكر والأنثى في النعتين سوداء»[1]، فمصطلح "الجموح" ذو طبيعة حيوانية، ويقصد به ذهاب الفرس جريا من صاحبها، وقد جاء في "المعجم الوسيط"«جمح: الفرس جمحًا وجموحًا، وجماحً، وجماحًا، عتى عن أمر أمر صاحبه حتى غلبه، فهو جامح»[2]، فقد أجمعت جل المعاجم اللغوية على أن مصطلح: "جمح" يقصد به عتو الفرس عن أمر صاحبه، فسميت جامحة، وغير بعيد عن التعاريف السابقة ورد: تعريف آخر في معجم مقاييس اللغة يؤكد ما جاء به سابقية وجاء كما يلي: « جمح : الجيم والميم والحاء أصل واحد مطّرد وهو ذهاب الشيء قدما بغليَة وقوة. ويقال جمح الفرس جماحًا إذا اعتز فارسه حتى يغلبه وفرس جموح»[3].

وقد ورد هذا المصطلح في القرآن الكريم بدلالة مغايرة لما ورد في المعاجم اللغوية، ويقصد بها الإنسان.

---

(1) الخليل بن أحمد الفراهيدي: كتاب العين، مادة (ج.م.ح).

(2) مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، مادة (ج.م.ح).

(3) ابن فارس: معجم مقاييس اللغة، مادة (ج.م.ح).

ب- في التفاسير:

يقول سبحانه وتعالى في محكم التنزيل:{لَوۡ تَجِدُونَ مَلۡجَـًٔا أَوۡ مَغَـٰرَٰتٍ أَوۡ مُدَّخَلاً لَّوَلَّوۡاْ إِلَيۡهِ وَهُمۡ يَجۡمَحُونَ }التوبة 57. ورد في تفسير الآية في **المحرر الوجيز لابن عطية:** «"يجمحون" معناه يسرعون مصممين غير منثنين»[1].

فقد جاء مصطلح "الجموح" في القرآن الكريم بدلالة الإسراع في فعل شيء دون تردد ولا اكتراث، وقد انطبق قوله تعالى على الكفار الذين كفروا بالله وبرسوله، والذين يخادعون الله ورسوله، وما يخدعون إلا أنفسهم، فيحلفون بأنهم من المؤمنين وما هم منهم، إذ يبحثون عن ملجأ أو مغامرات حتى يعودوا إليها وهم مسروعون لذلك قال فيهم سبحانه وتعالى "وهم يجمحون" وقد شبههم الله بذلك بالفرس التي ترغم صاحبها للتخلي عنها بالقوة فتغلبه وتذهب منه جريًا، حتى وإن مالت عن مسارها، فكذلك الكفار الذين يحاولون الهروب من دين الله غير مكترثين بما يلاقونه يوم القيامة من عقاب شديد، فتراهم فارّين إلى كل ملجإ ومغارة ومدخلٍ بعيدا عن دين الله ودين محمد صلى الله عليه وسلم.

17- الضحك

أ- المعاجم اللغوية:

لقد ورد في **معجم العين للفراهيدي** : «ضحك: ضحك يضحك ضحكًا وضِحْكًا، ولو قال: ضحكًا لكان قياسًا لأن مصدر فعِلَ فَعَلَ، والضحكة: ما يُضحكُ منه، والضحكة: الكثير الضحِك يُعاب به، والضَّحْك:

[1] القاضي أبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي: المحور الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ص 46.

الثلج، ويقال: جوف الطلع، يقال: ضحكت النخلة إذا نشق كافورها. وقال آخرون: هو الشهد، ويقال: الزُّبد، ويقال العسل»[1].

فالضحك مصطلح ذو معنيين أحدهما ظاهر والآخر خفي وأما الظاهر فهو معروف وهو الضحك والقهقهة أثناء المرح، بينما المعنى الخفي فهو ما يخرج من النخلة من ثمر ومن النحل من عسل ومن اللبن من زُبد.

وغير بعيد عن هذا التعريف نجد **ابن منظور** في معجمه **لسان العرب** يقدم تعريفا آخر كما يلي: «ضحك–الضحك: معروف، ضحك يضحك ضحكًا وضِحْكًا وضِحِكًا وضحِكًا أربع لغات، ومنه قول كثير: غمر الرداء إذا ابتسم ضاحكًا غلِقت لضحكته رقاب المال. وقيل: الضحك هنا الشهد، وقيل الزبد، وقيل الثلج والضحك أيضا: طلع النخل حين ينشق، وضحكت النخلة وأضحكت: أخرجت الضُّحك»[2].

وقد وافق التعريفين تعريف آخر ورد في **معجم مقاييس اللغة** وهو «ضحك: الضاد والحاء والكاف قريب من الباب الذي قبله، وهو دليل الانكشاف والبروز فأما الضحك فيقال إنه العسل، ويقال البلح، قال الشيباني: الطلع هو الكافور والضحك جميعا حين ينفق»[3].

فالضحك كما ورد في المعاجم معنى خفي عما هو مقصود في الظاهر، إذ يقصد به ما يخرج من النخل والنحل واللبن، وهي من أفضل النعم التي أنعم الله بها على عباده.

ب– في التفاسير:

قال الله عز وجل: {وَٱمۡرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٞ فَضَحِكَتۡ فَبَشَّرۡنَٰهَا بِإِسۡحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسۡحَٰقَ يَعۡقُوبَ ٧١} (هود:71).

---

[1] الخليل بن أحمد الفراهيدي: كتاب العين، مادة (ض.ح.ك).

[2] ابن منظور: لسان العرب، مادة (ض.ح.ك).

[3] ابن فارس بن زكريا: معجم مقاييس اللغة، مادة (ض.ح.ك).

وقد جاء في تفسير الآية في تفسير **التحرير والتنوير** « وإنما ضحكن امرأة إبراهيم –عليه السلام– من تبشير الملائكة إبراهيم عليه السلام بغلام، وكان ضحكها ضحك تعجب واستعباد، وقد وقع في التوراة في الإصلاح الثامن عشر من سفر التكوين "قالوا له: أين سارة امرأتك؟ فاقل: ها هي في الخيمة. فقالوا: يكون لسارة امرأتك ابن، وكانت سارة سامعة في باب الخيمة فضحكت سارة في باطنها قائلة: أبالحقيقة أبدو أنا قد شخت؟ فقال الرب: لماذا ضحكت سارة؟ فأنكرت سارة لم أضحك؟ لأنها خافت، قال: لا بل ضحكت»[1].

«وتفريغ "فبشرها بإسحاق" على جملة ضحكت باعتبار المعطوف وهو "ومن وراء إسحاق يعقُوب" لأنها ما ضحكت إلا بعد أن بشرها الملائكة بابن، فلما تعجبت من ذلك بشروها بابن الابن زيادة في البشرى، والتعجب بأن يولد لها ابن ويعيش ونعيش هي حتى يولد لأبنائها ابن»[2].

فضحكت في هذه الآية ليس استخفافا بقدرة الله وقوته، وإنما من شدة الفرح تساءلت مع نفسها، هل صحيح أنها ستلد وهي كبيرة في السن، وقد ضحكت بعفوية دون أن تتفكر في قدرة الله وقد شبهها الله سبحانه وتعالى بالنخلة التي تثمر ألدّ الثمار حتى وأنها ذات جذور طويلة، إذ بشرها سبحانه وتعالى بابن صالح ثم بولد من ابنها، وهذا دليل على قدرة الله في تغيير كل شيء بالنسبة لعباده الصالحين الصابرين، ويرزقهم من حيث لا يحتسبون، وهذا ما حدث مع إبراهيم وزوجته، بعد صبرهما الطويل.

---

[1] محمد الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير، ص 119.

[2] المرجع نفسه: الصفحة نفسها.

18- الثبر

أ- في المعاجم اللغوية:

لقد جاء في **معجم مقاييس اللغة** «"ثبر" الثاء والباء والراء أصول ثلاثة: الأول السهولة، والثاني الهلاك والثالث المواظبة على الشيء، فالأرض السهلة هي الثبرة، والثبرة تراب شبيه بالنوره إذا بلغ عرق النخلة إليه وقف فيقولون: بلغت النخلة ثبرة من الأرض»[1].

فالثبر إذا ورد في **معجم مقاييس اللغة** بدلالة الأرض أو التراب اليابس الذي لا يستطيع عرق النخلة تجاوزه.

وإلى جانب هذا التعريف نجد تعاريف أخرى تصب في هذا المجرى ومن بينها ما ورد في **لسان العرب لابن منظور** «ثبر: ثبرة يثبره ثبرًا وثبرة، كلاهما: حَبَسَهُ، والثبرة: تراب شبيه بالنورة يكون بين ظهري الأرض، فإذا بلغ عرق النخلة إليه وقف، يقال: لقِيتْ عروق النخلة ثبرة فردّتها، والثبرة: أرض رخوة ذات حجارة بيض تقوم ويبنى بها، والثبرة: الأرض السهلة، ويقال: بلغت النخلة إلى ثبرة من الأرض»[2].

فالثبر والثبرة إذا مصطلح طبيعي أجمعت جل المعاجم اللغوية أنه يدلّ على ما جاء في الطبيعة من تراب وأرض يابسة ذات حجارة.

---

[1] ابن فارس: معجم مقاييس اللغة، مادة (ث.ب.ر).

[2] ابن منظور: لسان العرب، مادة (ث.ب.ر).

وغير بعيد عن هذه التعاريف يورد **الخليل بن أحمد الفراهيدي** في **كتاب العين** تعريفا آخر لمصطلح "الثبر" بمعناه الخفي جاء كما يلي: «ثبر: الثبر: أرض حجارتها كحجارة الحرة إلا أنها بيض، تقول: انتهينا إلى ثبرة كذا، أي حرّة كذا، وثبير: اسم جبل والثبور: الهلاك»[1].

فالثبر: كمصطلح ذو معنيين: معنى ظاهر معروف وهو الهلاك والخسران، ومعنى خفي بينته ووضحته المعاجم اللغوية وأجمعت على ثبوت معناه الخفي وهو: الأرض والتراب اليابس المختلط بالحجارة والذي لا يمكن حتى لعرق النخلة تجاوزهُ، وقد ورد هذا المصطلح في القرآن الكريم بمعناه المعروف بالهلاك.

ب–في التفاسير:

قال تعالى: {وَإِذَآ أُلۡقُواْ مِنۡهَا مَكَانٗا ضَيِّقٗا مُّقَرَّنِينَ دَعَوۡاْ هُنَالِكَ ثُبُورٗا } (الفرقان:13).

جاء في تفسير الآية **لابن كثير** : «"دعوا هناك ثبورا"، أي بالويل والحسرة والخيبة، قال الإمام أحمد: حدثنا عفان. حدثنا حماد بن سلمة، عن علي بن زيد عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أول من يكسى حلة من النار إبليس، فيضعها على حاجبيه ويسحبها من خلفه، وذريته من بعده وهو ينادي: يا ثبورا"»[2].

«وينادون: يا ثبورهم ! حتى يقفوا على النار، فيقول: يا ثبوراه ! ويقولون: يا ثبورهم ! فيقال لهم "لا تدعوا اليوم ثبورًا واحد وادعوا ثبورا كثيرا"، وقال الضحاك: الثبور: الهلاك، والظهر أن الثبور يجمع الهلاك والويل والخسارة والدمار، كمال قال هوس لفرعون "وإني لا أظنك يا فرعون مثبورا" أي هالكًا»[3].

---

[1] الخليل بن أحمد الفراهيدي: كتاب العين، مادة (ث.ب.ر).

[2] بن كثير: تفسير القرآن العظيم، ص 290.

[3] المرجع نفسه: الصفحة نفسها.

فالثبور إذا كما ورد في القرآن الكريم يدل على الهلاك والخسران والدمار الذي يلحق بالكافرين يوم القيامة جراء إعراضهم الشديد عن آيات الله وتكذيبهم بها، وهذا المصطلح قد ورد في المعاجم بدلالة أخرى، وهي: الأرض السهلة التي تختلط تربتها بالحجارة الصلبة التي يصعب على عرق النخلة تجاوزها، فقد شبه الله تعالى الكفار الذين تشدّدوا في إعراضهم عن آياته بتلك الأرض الصلبة التي إن زرعها صاحبها لا يكون إلا قد خسر زراعة بسبب تلك التربة المتحجرة التي لا تسمح للزرع بالنمو. فكذلك الكفار إنما يجزون يوم القيامة إلا الهلاك والخسران ويجزون جهنم نظير إعراضهم وكفرهم الشديد.

19- الجرم:

أ- في المعاجم الغوية:

جاء في **لسان العرب لابن منظور** : «جرم: الجرم: القطع. وشجرة جريمة مقطوعة، وقيل: الجريم البؤرة التي يرضح فيها النوى. والجرام والجريم هما النوى، وهما أيضا: التمر اليابس، والجُرامة بالضم، ما سقط من التمر إذا جُرِمَ»[1].

والجرم في معناه الظاهر، هو الذنب والتعدّي، ومنه جاءت كلمة المجرم والمجرمين، والجريمة.

وإلى جانب التعريف الذي جاء به **ابن منظور** لمصطلح الجرم نجد تعريفا آخر لم يكن بعيد المعنى عنه وهو تعريف ورد في **معجم مقاييس اللغة** كما يلي: « جرم: الجيم والراء والميم أصل واحد يرجع إليه الفروع فالجرم: القطع. ويقال لصرام النخل الجرام، والجرامة ما سقطة من التمر إذا جرم. والجرام والجريم: التمر اليابس وهذا كله متفق لفظا ومعنى وقياسًا»[2].

---

[1] ابن منظور: لسان العرب، مادة (ج. ر. م).

[2] ابن فارس : معجم مقاييس اللغة، مادة (ج. ر. م).

فالجرم إذا ذو معنيين أحدهما معروف وهو الذنب والتعدّي ومعنى باطني يقصد به اللغويين التمر اليابس الذي يتساقط من النخل والذي لا فائدة منه.

كما ورد أيضا مصطلح الجرم في **معجم الوجيز** غير بعيد المعنى عن سابقيه حيث جاء «"جرم"-جرما: أدنب...والشيء قطعه. والنخل ونحو جرما، وجرما: جنى ثمره، والجرامة إما سقط من التمر عند قطعه، وما ترك من التمر على الكرب. و: ردئ التمر المجروم، والجريم: التمر المجروم و...: التمر اليابس»[1].

ففي هذا المعجم أيضا ورد مصطلح الجرم بمعنيين، معنى ظاهر معروف وهو الدنب والتعدي والجريمة، ومعنى خفي هو التمر اليابس الرديء الذي يترك على الكرب، والذي لا فائدة منه.

ب- في التفاسير:

قال الله تعالى:{إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا وَٱسۡتَكۡبَرُواْ عَنۡهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمۡ أَبۡوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلۡجَمَلُ فِي سَمِّ ٱلۡخِيَاطِۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴿٤٠﴾}(الأعراف:40).

وقد ورد تفسير الآية في تفسير **التحرير والتنوير للشيخ الطاهر بن عاشور** : « وكذلك نجزي المجرمين تنزيل يؤذن بأن الإجرام هو الذي أوقعهم في ذلك الجزاء، فهم قد دخلوا في عموم المجرمين الذين يجزون بمثل الجزاء وهم المقصود الأول منهم، لأن عقاب المجرمين قد شبه بعاب هؤلاء»[2].

---

[1] مجمع اللغة العربية: المعجم الوجيز، مادة (ج. ر. م).

[2] محمد الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير، ص 125.

«فعلم أنهم مجرمون، وأنهم في الرعيل الأول من المجرمين، حتى شبه عقاب عموم المجرمين بعقاب هؤلاء وكانوا مثلا لذلك العموم. والأجرام: فعل الجُرم-بضم الجيم- وهو الذنب، وأصل صار ذا جرم، كما يقال: ألبن أتمر وأخصب»[1].

فالله سبحانه وتعالى يبين في هذه الآية عقاب المجرمين الذين أعرض عن آياته وكذبوا واستكبروا بأن لا تفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة، وذلك بسبب أفعالهم الدنيئة التي أدت بهم إلى هذا الجزاء، وقد شبههم الله سبحانه وتعالى بشيء طبيعي غير مرغوب فيه من طرف صاحبه وهو التمر اليابس الرديء الذي ليس له فائدة، إذ يتخلى عنه صاحب الواحة في مكانه، فكذلك المجرمين الذين أذنبوا وأجرموا وأعرضوا عن آليات الله في الدنيا يتخلى عنهم الله يوم القيامة وذلك بسبب أعمالهم السيئة التي تضرهم ولا تنفعهم بحرمانهم الجنة وإدخالهم نار جهنم خالدين فيها.

20 – النكب:

أ– في المعاجم:

ورد في **معجم مقاييس اللغة**: «النون والكاف والباء أصل صحيح بدل على ميل في الشيء (...)» والنكباء: كل ريح وعدلت عن مهب الرياح الأربع والنكب: داء يأخذ الإبل مناكبها فتضلع منه».[2]

وفي **المعجم الوجيز** لا نلمس اختلافا في تعريف نفس المادة فجاءت «نكبت الريح نكوبا: مالت عن مهاب الرياح العادية، والنكباء ريح انحرفت ووقعت بين ريحين كالصبا والشمال، والنكبة: المصيبة»[3].

---

[1] محمد الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير، ص 128.

[2] ابن فارس: معجم مقاييس اللغة، مادة (ن.ك.ب).

[3] مجمع اللغة العربية: المعجم الوجيز، مادة (ن.ك.ب).

فهذان التعريفات يتفقان على أن النكب مرتبط بالميل والانحراف وأنه يطلق على الريح التي تنحرف وتميل على مهب الرياح الأربة، كما أن "**ابن فارس**" ..أن النكب هو داء يصيب الإبل في مناكبها، حيث يسبب لها عالة عن المشي.

ويتفق "**ابن منظور**" أيضا مع هذا التعريف فأورد:«النكباء: كل ريح من الرياح الأربعة انحرفت ووقعت بين ريحين، وهي تهلك المال وتحبس القطر، وقد نكبت تنكب نكوبا (...) وبعير أنكب: يمشي متنكبا، والأنكب من الإبل كأنما يمشي في شق» [1].

فالنكب إذا لا يخرج عن معنى الميل والانحراف ولعل ذلك النكب المتعلق بالريح هو الأصل، لأن ذلك الريح النكباء تحبس القطر، وكذلك هي ريح مهلكة، ومنه اشتقت النكبة التي تعني المصيبة.

ب- في التفاسير:

يقول تعالى: {وَإِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ عَنِ ٱلصِّرَٰطِ لَنَٰكِبُونَ ٧٤} (المؤمنون: 74)

ورد "النكب" منافي صيغة جمع المذكر السالم في وصف للكفار يوم الآخرة وهو بمعنى الهلاك، وقد جاء في تفسير "الكساف" للزمخشري:

«لناكبون» أي: عادلون عن هذا الصراط المذكور "إلى صراط مستقيم" وأن كل من لايؤمن بالآخرة فهو عن القصد ناكب» [2] .

فالعدول عن الصراط والميل عنه ويقابله ذلك العدول والميل في الريح فانتقل معنى النكب من الطبيعة إلى الإنسان ذلك أن تلك الريح مهلكتا عندما تميل وتنحرف عن مسارها كذلك النكب عن صراط الله فهو مهلك للعبد.

---

[1] ابن منظور: ولسان العرب، مادة (ن.ك.ب).

[2] أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري: الكشّاف، مكتبة العبيكان، الرياض، ط1، 1998، ج4، ص242.

21- الخذل:

أ- في المعاجم:

جاء في **لسان العرب** : «خذلت الضبية والبقرة وغيرها من الدواب» وهب خاذل وخذول: تخلفت عن صواحبها وانفردت، وقيل تخلفت فلم تلحق، وخذلت الضبية وأخذلت وهي خاذل ومخذل، أقامت على ولدها، ويقال: هو مقلوب لأنها هي المتروكة، وتخاذلت مثله، الخاذل والخذول من الضباء والبقر التي تخذل صواحباتها وتنفر مع ولدها، وقد أخذلها ولدها، والخذول التي تخلفت عن القطيع، وقد خذلت وخدرت»[1].

ولا نلمس اختلافا كبيرا بين ما أورده **ابن منظور** في اللسان وما جاء في المعجم الصادر عن **مجمع اللغة العربية** فنجد: «خذل خدلا وخذلانا: بان وانقطع، ويقال خدلت الضبية ونحوها: تخلفت عن القطيع أو أقامت على ولدها، فهي خاذل وخذول»[2].

فهذان التعريفان متقاربان من خلال تعريف "الخذل" والتي أرجعت إلى الدابة التي تتخلف عن القطيع وتقيم على ولدها، وهذا ما ذكره **ابن فارس** أيضا في **معجم مقاييس اللغة** فقال:«الخاء والذال واللام أصل واحد يدل وعلى ترك الشيء والقعود عنه، ويقال خذلت الوحشية أقامت على ولدها، وهي خذول» [3].

فالخذل إذا يدل على ترك الشيء، بد من الدابة التي تخذل القطيع وتقيم على ولدها ووصل المصطلح للتعبير عن الإنسان فنقول خذل يخذل خذلا وخذلانا، لمن يكون في عونه أخيه.

---

[1] ابن منظور: لسان العرب، مادة (خ.ذ.ل).

[2] مجمع اللغة العربية: المعجم الوجيز، مادة (خ.ذ.ل).

[3] ابن فارس: معجم مقاييس اللغة، مادة (خ.ذ.ل).

ب- في التفاسير:

يقول تعالى: {لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ﴿٢٢﴾} (الإسراء:22)

جاء في **تفسير القرآن العظيم** :«مخذولا: لأن الرب تعالى لا بنصرك بل يكلك إلى الذي عبدت معه وهو لا يملك لك ضرا ولا نفعا، لأن مالك الضر هو الله وحده لا شريك له»[1].

فالخذل في القرآن متعلق بالذي يجعل مع الله إله آخر فيصير مخذولا فمن الدواب ما يخذل القطيع ويقيم على ولدها ومن الناس من يخذل الله تعالى ويعبد غيره، أو يقيم مصالحه الدنيوية الوضيعة، فانتقل هذا اللفظ الطبيعي إلى مصطلح قرآني يعبّر به عمّن يعبد غير الله.

22- السجر:

أ- في المعاجم:

جاء في معجم **العين للخليل ابن أحمد الفراهيدي:** «سجر: أسجرت التنور سجرا: والسجور اسم للحطب، والمسجرة: التي يساط بها في التنور، والسجور: امتلاء البحر والعين، والبحر المسجور، المفعم الملآن، والساجر: السيل يمر بشيء فيملؤه، سجر السيل الآبار ملأها»[2].

---

[1] ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، مج=4، ص465.

[2] الخليل ابن أحمد الفراهيدي: كتاب العين، ومادة (س.ج.ر).

ومن التعريفات المؤيدة لهذا التعريف، ما جاء في **لسان العرب فالسجر في لسان العرب** كما قال **ابن منظور**:«تسجر التنور وبالوقود سجرا، والسجور: اسم الحطب، وسجر التنور يسجره سجرا والسجور ما أوقد به وسجرت الآبار: ملئت من المطر، وكذلك الماء سجرة ومنه البحر المسجور» [1].

نخرج إذا بمعنيين رئيسين للسجر، فالأول هو الشيء المملوء والفعل منه مللأ الشيء أو فاض الشيء والمعنى الثاني أنه إيقاد الشيء وإشعاله وحرقه وهو أيضا اسم للحطب، وأساس المعنيين من ماء ونار، وغير بعيد عن هذه التعاريف هناك تعريف آخر للفظ السجر، ورد في **المعجم الوسيط**، وجاء «سجر-سجرا، وسجورا: امتلأ والإناء ونحوه: ملأه، والتنور: ملأه وقودا وأحماه، والسجور: الحطب ونحوه مما يوقد به»[2].

فالسجر كما سبق من تعاريف لا يخرج عن معنى نوع من الحطب يوقد به، أو ملئ الشيء كملئ التنور أو النهر، أو البحر أو العين ولكن اللفظ في القرآن الكريم ورد في الحديث عن أهل النار بأنهم هم من سيسجر.

ب- في التفاسير:

يقول تعالى:{فِي ٱلۡحَمِيمِ ثُمَّ فِي ٱلنَّارِ يُسۡجَرُونَ ﴿٧٢﴾ }غافر 72.

جاء في **التفسير الوجيز**:«سوف يعملون حين توضع الأغلال في أعناقهم ويسحبون بالسلاسل بعنف في جهنم وال..، الماء الشديد الحرارة ثم يحرقون ويوقدون في النار»[3].

سبق وأن ذكرنا بأن السجر يحمل معنيين: ملئ الشيء كالبحر والعين وأنه ضرب من الحطب، وهذا ما جمعه القرآن الكريم في مصطلح "السجر" فالكفار عندما يشربون من حميم جهنم تملأ بطونهم.

---

[1] ابن منظور: لسان العرب، مادة: (س.ج.ر).

[2] مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، مادة (س.ج.ر).

[3] وهبة الزحيلي: التفسير الوجيز، ص476.

والله يقول: {فَشَٰرِبُونَ عَلَيۡهِ مِنَ ٱلۡحَمِيمِ ۝٥٤ }(الواقعة:54).

وعند حرقهم يصيرون كالحطب الذي تسج ربه النار، كما قال تعالى: {إِنَّكُمۡ وَمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمۡ لَهَا وَٰرِدُونَ ۝٩٨ }(الأنبياء: 98).

والحصب هو الحجارة أو الشيء الذي توقد به النار، فأستعار القرآن الكريم هذا اللفظ ليصبح "مصطلحا" يعبر به عن "أهل جهنم وعن عذابهم".

23- السمود:

أ- في المعاجم:

يقول **ابن فارس :** «السين والميم والدال أصل واحد يصل زعلى المضي قدما من غير تعريج، يقال سمدت الإبل في سيرها، إذا جدت ومضت على رؤوسها» [1].

ويوافق هذا التعريف في دلالته وتعريف **ابن منظور** حين أورد: «سمد: يسمد وسمودا، وسمدت الإبل تسمد سمودا: لم تعرف الإعياء، والإبل السوامد: أي دوائب: ليس في بطونها علف، وقيل ليس على ظهورها زاد للراكب، والسمود الغناء في لغة حمير» [2].

تعطينا هذه المعاني المختلفة لمادة [س.م.د] أن السمود متعلق بالإبل إذا لم يكن في بطونها علف ولم تعرف الإعياء أو مضت قدما وهذه المعاني يمكن أن تحتسب على الإبل لا لها.

[1] ابن فارس: معجم مقاييس اللغة، مادة (س.م.د).

[2] ابن منظور: لسان العرب، مادة (س.م.د).

ومن التعريفات الموافقة ولما سبق ذكره، ما أورده "الخليل بن أحمد الفراهيدي في العين": «سمد: السمد من السير، سمدت الإبل تسمد سمودا: أي لم تعرف الإعياء، والسمود: الغفلة والسهو عن الشيء»[1].

فالسمد إذا يمكن أن ينتقل معناه من الحيوان إلى الإنسان فكما توجد من الإبل الماضية على رؤوسها قدما من غير تعريج يوجد من الناس من يمضي معاجزا في آيات الله من غير خوف وكله غفلة وسهو عن قول الله.

ب- في التفاسير:

يقول تعالى: {وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ ۝٦١} (النجم: 61).

جاء في تفسير **التحرير والتنوير** :«وسامدون من السمود وهو ما في المرء من الإعجاب بالنفس، يقال سمد البعير، إذا رفع رأسه في سيره مثل به حال المتكبر المعرض عن النصح المعجب بما زهو فيه بحال البعير في نشاطه»[2].

وهذا التفسير يبين لنا المناسبة في انقال السمود زمن طبيعته والحيوانية إلى الإنسان، والتي تكمن في أن المتكبر الذي يعرض عن النصح ويمضي في جهله، كالبعير الذي يمضي قدما ومن غير تعريج.

---

(1) الخليل ابن أحمد الفراهيدي: كتاب العين، مادة (س.م.د).

(2) الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير، ج27، ص160.

24- الخمود:

أ- في المعاجم:

نجد في معجم **منجد الطلاب لـ فؤاد إفرام البستاني** : «خمد: خمدت النار خمدا وخمودا: سكن لهيبها ولم يطفأ جمرها، والخمّود: الموضع الذي تدفن فيه النار لتخمد» [1].

وليس ببعيد عن هذا التعريف، أورد **الفراهيدي** في **عينه** «خمد: خمدت النار خمودا: سكن لهيبها وإذا طفئت قيل همدت»[2].

فالخمود إذ مرتبط بالنار للتعبير عن سكون لهيبها وذهابه، ويتفق هذان التعريفات مع تعريف **ابن منظور** في **لسان العرب**، حيث أورد: «خمد: خمدت النار تخمد خمودا: سكن لهبها ولم ويطفأ جمرها.

وهمدت همودا إذا أطفأ جمرها البتة، والخمّود على وزن التنور موضع تدفن فيه النار حتى تخمد، وخمدت الحمّى: سكن فورانها»[3].

ومن التعريفات الموافق أيضا لتعريف الخمود، ما جاء به **بطرس البستاني** "في" **"محيط المحيط"، حيث جاءت:**«خمدت النار تخمد وخمدت تخمد خمدا وخمودا: خبت، أي سكن لهبها ولم يطفأ جمرها ويقال همدت إذا انطفئ جمرها ولم يبق شيء، وخمدت الحمّى سكن فورانها، وأخمد النار: أطفأ لهبها» [4].

وهذا المعنى قد كان يخص النار فقط، لارتباطه بانقطاع اللهب وبقاء الجمر، لكن دلالة المعنى انتقلت إلى الإنسان كقولنا خمدت الحمّى، وقد ورد هذا اللفظ في القرآن الكريم لدلالة أخرى.

---

(1) فؤاد إفرام البستاني: منجد الطلاب، دار المشرق، بيروت، زلبنان، ط22، 1978، مادة (خ.م.د).

(2) الخليل ابن أحمد الفراهيدي: كتاب العين، مادة (خ.م.د).

(3) ابن منظور: ولسان العرب، مادة (خ.م.د).

(4) بطرس البستاني: محيط المحيط، مادة (خ.م.د).

ب- في التفاسير:

يقول تعالى: {إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ ﴿٢٩﴾ }(يس:29).

جاء في تفسير **التحرير والتنوير** : «والخمود: انطفاء النار، استعيد للموت بعد الحياة المليئة بالقوة والطغيان ليتضمن الكلام ..حالهم في حياتهم بنشوب النار وحال موتهم بخمود النار»[1].

فالقرآن الكريم إذا استعار من الطبيعة للتعبير عن الإنسان الطاغي المتجبر، فوصف حياته بأنها ك..نار انطفائها فذهاب قوتك وطغيانك في الدنيا كذهاب لهب تلك النار، فانتقل ولفظ "الخمود" إلى "مصطلح" قرآني طبيعي يعبر فيه الله عن الإنسان.

25- السطو:

أ- في المعاجم اللغوية:

ورد في المعاجم اللغوية لفظ "السطو" على عدة معاني ودلالات، حيث جاء في **معجم العين للفراهيدي**:«السطو: شدة البطش، وإنما سمي الفرس ساطيا، لأنه يسطو على سائر الخيل، فيقوم على رجليه ويسطو بيديه، والسطو: أن يسطو الراعي فيدخل يده في رحم الناقة، فخرج ولدها مقطعا، وسطوا الخيل إذا جرت، ألا تبقي شيئا، ولا تبالي كيف وقعت حوافرها» [2] .

فالسطر: إذا كما جاء في كتاب العين: هو بطش الفرس بالقوة على سائر الخيل أو على صاحبها، كما أن له أيضا معنى آخر وهو: إخراج ولد الناقة من رحمها مقطعا.

---

[1] الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير، مج:23، ص6.

[2] الخليل ابن أحمد الفارهيدي: كتاب العين، مادة (س.ط.ا).

وقد جاء تعريف آخر يوافق هذا التعريف وهو تعريف **ابن منظور** في "لسان العرب"، إذا وعرّفه «سطا: السطو: القهر بالبطش.

والسطو، شدة البطش، وإنما سمي الفرس ساطيا لأنه يسطو على سائر الخيل، ويقوم على رجليه، ويسطو بيده، والفعل يسطو على طروقته، وسطا الراعي على وسطا، الفرس أي وأبعد الخطو، وفرس ساط: يسطو على الخيل»[1].

فقد جاء لفظ "أسطو" في لسان العرب **لابن منظور** بمعنى لا يختلف عن سابقه، وهو ما تمارسه الفرس ومن بطش بالقهر والقوة على سائر الخيل، كما له معنى ثان وهو أن يخرج الراعي من رحم الفرس ماء الفحل أو ولدها متقطعا.

وغير بعيد عن هذين التعريفين ورد تعريف آخر لهذا اللفظ، حيث جاء في "**محيط المحيط**" «سطا عليه وبه يسطو سطوا وسطوة: صال وعليه ووثب أو قهره بالبطش أو بسط عليه بقهره من فوق، وسطا الماء كثر والفرس أبعد الخطر، والفرس ركب رأسه، والراعي على الناقة أدخل يده في رحمها ليخرج ما فيها من الوثر وهو ماء الفحل، وإذا لم يخرج لم تلح الناقة، وسمي الفرس ساطيا لأنه يسطو على سائر الخيل فيقوم على رجليه ويرفع يديه»[2]، فقد أجمعت جل المعاجم على عدم اختلاف معنى السطو فيما بينها، واتفاقها على المعنى الذي جاء به أصحابها.

ب- في التفاسير:

جاء في قوله تعالى: {وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمُنكَرَ ۖ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِٱلَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا ۗ قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكُمُ ۗ ٱلنَّارُ وَعَدَهَا ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٧٢﴾} (الحج:72).

---

[1] ابن منظور: لسان العرب، مادة (س.ط.ا).

[2] بطرس البستاني: محيط المحيط، مادة (س.ط.ا).

جاء في تفسير هذه الآية للعلامة الإمام محمد الطاهر بن عاشور «والسُّطُو، البطش، أي يقاربون أن يصولوا على الذين يتكون عليهم الآيات من شدة الغضب والغيط من سماع القرآن، أما الذين سطوا عليهم من المؤمنين وفلعلهم غير الذين وقرأوا عليهم القرآن، أو لعل السطو عليهم كان بعد ونزول هذه الآية، فلا أشكال في ذكر فعل المقاربة.

وجملة «يكادون يسطون» في موضع بدل الاشتمال لجملة «تعرف في وجوه الذين كفروا المنكر» لأن الهمّ بالسطو مما يشتمل عليه المنكر»[1].

في هذه الآية، شبه الله وسبحانه وتعالى الكفار الذين أعرضوا عن سماع آيات الله وأرادوا بقارئيها سوءا وبطشا بالقهر والقوة بالفرس التي تسطو على سائر الخيل بيدها بالقوة والقهر، وهو مصطلح ذو طبيعة حيوانية انتقلت ودلالته من كونه يدل على الحيوان إلى كونه يدل على الإنسان الكافر المعرض عن سماع كلام الله، والذي يريد أن يسطو على من يتلو ويبطشه بالقهر والقوة كالحيوان.

[1] الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير، ج17، ص 355.

الفصل الثاني:

عناصر البنية السردية في رواية " بلقيس بكائية آخر الليل "

الخاتمة:

بعد هذه الرحلة الشيقة في رحاب القرآن الكريم يمكن القول إن هذا البحث قد سعى إلى تقديم صورة عن مصطلحات الطبيعة التي جاء بها القرآن الكريم من خلال إخضاع عينة من هذه المصطلحات إلى دراسة تطبيقية اعتمادا على المنهج الاستقرائي الوصفي في كشف كيفية انتقال مفاهيمها من الطبيعة إلى الإنسان وكذا الهدف من ذلك الانتقال.

وتعدّ هذه المصطلحات جانبا عظيما من المدونة القرآنية كونها وإلى جانب انتقال مفاهيمها، فإنها لعبت دورا كبيرا في احتقار بعض الأمور الخاصة بالمشركين والتقليل من شأنهم، وفي المقابل تطييب وتحبيب بعض الأعمال وإلى المسلمين كافة، فجاءت هذه المصطلحات دقيقة المفاهيم فصيحة، متناسقة مع معناها اللغوي السابق.

وقد خلصنا من خلال هذا البحث إلى مجموعة من النتائج يمكن حصرها في النقاط التالية:

1- كل لفظ ينتقل معناه من المعنى الأصل إلى معنى ثان لمناسبة بينهما هو مصطلح.

2- المصطلح الطبيعي في القرآن الكريم هو ذلك اللفظ الذي كان يعبر به عن أشياء موجودة في الطبيعة، وفي القرآن الكريم انتقل عن معناه الأول بعبر عن الإنسان.

3- القرآن الكريم سخر الطبيعة لخدمة الإنسان، وفي المقام الأول أداة لتوحيد ربوبيته وإثبات ذاته الإلهية.

4- عرفت اللغة العربية بقوة تراكيبها وبلاغتها، وبعد مجيء القرآن الكريم ببلاغة أكبر وفصاحة أكثر، أصبحت اللغة العربية وكأنها واستخرجت من القرآن الكريم.

5- تعابير القرآن الكريم "قرآنية"، أي أنها تتميز عن الألفاظ اللغة العربية وتتميز كذلك بإعجازها في السياقات التي ترد فيها.

6- يختلف التأثير النفسي لألفاظ القرآن عن تأثير تلك الألفاظ قبل مجيء القرآن، فمثلا إذا كان العرب قديما يتشائمون من الليل ، فإن القرآن جعل هذا الليل سكنا وراحة للنفوس والأبدان.

7- القرآن الكريم نقل أسماء الكثير من الأمراض الجسدية التي تصيب أجسام المخلوقات إلى أمراض نفسية تصيب نفوس بعض البشر، وتكمن قرآنية هذه المصطلحات في كونها تزدري وتحتقر تلك الطائفة من النّاس إلى جانب مناسبة انتقال المعنى.

8- تتجلى الدراسة المصطلحية للقرآن الكريم في دراسة المصطلحات التي جاء بها وفق مناهج معينة يحددها نوع الدراسة.

9- تفتح الدراسة المصطلحية للقرآن الكريم أبوابا جديدة للمهتمين بعلم التفسير بما تضيفه لألفاظ القرآن الكريم من معان جديدة.

10- لا يختص القرآن الكريم بعلم البيان واللغة فقط، وإنما يمكن أن ندرس فيه ظواهر في علم الطبيعة وعلم الأرض والفيزياء وغيرها من العلوم.

11- تلعب التفاسير دورا هاما في الوصول إلى العلاقة التي على أساسها انتقل الفظ من معنى لآخر.

هذه إذن بعض أهم النقاط التي توصلنا إليها من خلال بحثنا هذا جدير بالذكر أن المصطلحات التي أخضعناها للدراسة والتحليل إنما هي قطرة من بحر لمن أراد أن يبحر في دراسة المصطلح القرآني، ويستفيد من القرآن وفي دينه ودنياه، يقول تعالى: {وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٢٢﴾ } (القمر:22).

وفي الختام لا يسعنا إلاّ أن نحمد الله ونثني عليه أن وفقنا في هذا العمل الذي نرجو منه أن ينفعنا به في ديننا ودنيانا.

اللهم لك الحمد كله ولك الشكر كله، اللهم أجعل القرآن العظيم حجّة لنا لا حجة علينا، ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا، ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا، وهب لنا من لدنك رحمة أنك أنت الوهاب.

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.

قائمة

المصادر والمراجع

- **القرآن الكريم.**

❖ **التفاسير.**

1_ حكمت بن بشير بن ياسين: التفسير الصحيح، دار المآثر، المدينة النبوية، د ط، د ت.

2_ أبو حيان الأندلسي:تفسير البحر المحيط ، تح:علي محمد معوض ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ، د ط، د ت.

3_ عماد الدين ابي الفراء اسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي:تفسير القرآن العظيم، مكتبة الإمام مالك، باب الوادي، الجزائر، ط2،1430هـ،2009 .

4_ أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري: الكشاف، مكتبة العبيكان، الرياض، د ط، د ت.

5_ القاضي أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تح: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د ط، د ت.

6_ ابن كثير: عمدة التفسير، تح: احمد شاكر، دار الوفاء، د ط، د ت.

7_ محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، د ط، د ت.

8_محمد متولي الشعراوي: خواطر حول القرآن الكريم، دار الفكر العربي، د ط، د ت.

9_ناصر الدين أبو الخير عبد الله ابن عمر بن محمد الشيرازي الشافعي البيضاوي: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د ط، د ت.

10_ وهبة الزحيلي: التفسير الوجيز، دار الفكر، دمشق، سوريا، د ط، د ت.

❖ **المعاجم:**

11_ اسماعيل بن حماد الجوهري: الصحاح، دار العلم، بيروت- لبنان، ط4، 1990.

12_ بطرس البستاني: محيط المحيط، مكتبة لبنان، ساحة رياض الصلح، بيروت، 1987.

13_ الخليل بن احمد الفراهدي:كتاب العين، تح: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د ط، د ت.

14_ شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي: معجم البلدان، دار صادر، بيروت، لبنان، 1977.

15_ أبو الفتح ناصر الدين المطرزي: المغرب في ترتيب المعرب، تح: محمود فاخوري، مكتبة أسامة بن زيد، حلب-سوريا.

16_ فؤاد إفرام البستاني: منجد الطلاب، دار المشرق، بيروت، لبنان، ط22، 1978.

17_ الفيروز أبادي مجد الدين محمد بن يعقوب: القاموس المحيط، دار الفكر، بيروت، لبنان، 1983.

18_ مجمع اللغة العربية: المعجم الوجيز,وزارة التربية والتعليم، مصر، ط1، 1994.

19_ مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، مصر، ط4، 2004 .

20 _ محمد محي الدين عبد الحميد: المختار من صحاح اللغة، مطبعة الاستقامة، القاهرة- مصر، د ط، د ت.

21 _ ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، بيروت- لبنان، ط 4 ، د ت.

22_ ابن منظور: لسان العرب، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2005.

❖ مصادر ومراجع:

23_ الأمير مصطفى الشهابي: المصطلحات العلمية في اللغة العربية في الحديث والقديم، مطبوعات المجمع العلمي العربي، دمشق، د ط، 1965.

24_ انطوان نعمان وآخرون: المنجد في اللغة العربية المعاصرة، دار المشرق، بيروت، لبنان، ط2، 2001.

25_ ابن جني: الخصائص، تح:محمد علي النجار، دار الكتب المصرية، مصر، د ط، د ت.

26_ الشريف علي بن محمد الجرجاني: التعريفات،ضبطه وفهرسه: محمد عبد الحكيم القاضي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط1، 1991.

27_ عبد القادر الفاسي الفهري: اللسانيات واللغة العربية، نماذج تركيبية ودلالية، دار توبقال، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1985.

28_ أبوعبد الله بن احمد الزوزني: شرح المعلقات السبع، تح:طلال أحمد، دار الكتاب الحديث، ط1، 2002.

29_ علي توفيق الحمد: المصطلح العربي شروطه وتوحيده،جامعة الخليل للبحوث، الأردن، د ط،2005 .

30_ علي القاسمي:علم المصطلح اسسه النظرية وتطبيقاته العلمية، مكتبة لبنان، بيروت، لبنان، ط1،2008 .

31 _ عمار ساسي: المصطلح في اللسان العربي من آلية الفهم إلى أداة الصناعة، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2009.

32 _ كاصد ياسر الزيدي: الطبيعة في القرآن الكريم، دار الرشيد للنشر، د ط، د ت.

الفهرس

الموضوع	الصفحة
مقدمة	أ/ث
الفصل الأول: مدخل مفاهيمي لمصطلحات العنوان	31/6
1 – مفهوم المصطلح	6
2- مفهوم اللغة	9
3- مفهوم الطبيعة	10
4- تعريف القرآن الكريم.....	12
5- علاقة القرآن بالطبيعة.....	18
6- مفهوم المصطلح الطبيعي في القرآن الكريم	29
الفل الثاني: المصطلحات الطبيعية في القرآن الكريم	79/33
1- الحبط	33
2- الصعر	35
3- الصدف.....	37
4- البخس.....	39
5- الصدع.....	40
6- الهيام.....	42

7- الكظم.....	44
8- الفصاحة.....	46
9- الكفر.....	48
10- الزكاة.....	50
11- البور.....	51
12- الطغي والطغيان.....	53
13- النفاق.....	55
14- التبيع.....	57
15- الأبى.....	59
16- الجموح.....	61
17- الضحك.....	62
18- الثبر	65
19- الجرم	67
20- النكب.....	69
21- الخذل	71
22- السجر.....	72

23 – السمود	74
24 – الخمود	76
25 – السطو	77
الخاتمة.....	83/81
قائمة المصادر والمراجع	88/85
الفهرس	92/90